

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة



كلية

صورة المكان ودلالاته في الرواية العربية الجزائرية المعاصرة  
رواية تصريح بضياع لسمير قسيمي أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي.

تخصص: أدب جزائري

إشراف:

\* الأستاذة الدكتورة: بن عتو حورية

إعداد الطالبة:

\* فرج فاطمة الزهراء

السنة الجامعية: 2018/2017

## \*\*الإهداء\*\*

إلى من كان وجودها حياة، دعوتها نجاة، وأقـدامها جنة، حبيبتي التي حملتني وهنا على وهن، وسقتني من نبع حنانها وعطفها، والتي أنارت دربي وأعاننتني بالدعوات والصلوات

أمي الحبيبة أمدها الله بطول العمر.

إلى أعلى إنسان في هذا الوجود والذي لم يعد موجود وفي القلب دوما له الخلود، تمنيت لو أهديتك هذا كله ووجهي يقابل وجهك، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وللأسف أقابل قبرك لا غير يا أبي. كتب الدنيا لا تتسع لوصفك\*رحمة الله عليك\* .

إلى أعلى إخوة منحنى الله إياهم عبد القادر - زين الدين - ياسمين.

إلى التي قاسمتني لذة و شقاء هذا العمل زوجة أخي مريم و أختاي عتيقة وسناء.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد بالقليل أو بالكثير في إنجاز هذا العمل، نسأل الله أن يمنحكم من النعمة تمامها، ومن الرحمة شمولها، ومن العافية دوامها، ومن العيش أرغده، ومن العمر أسعده ، ومن الإحسان أتمه، ومن العمل أصلحه، ومن العلم أنفعه.

إلى كل من أحملهم في قلبي ولا تسعهم ورقتي ، حفظكم الله ورعاكم أينما كنتم وحللتهم.

فاطمة الزهراء.

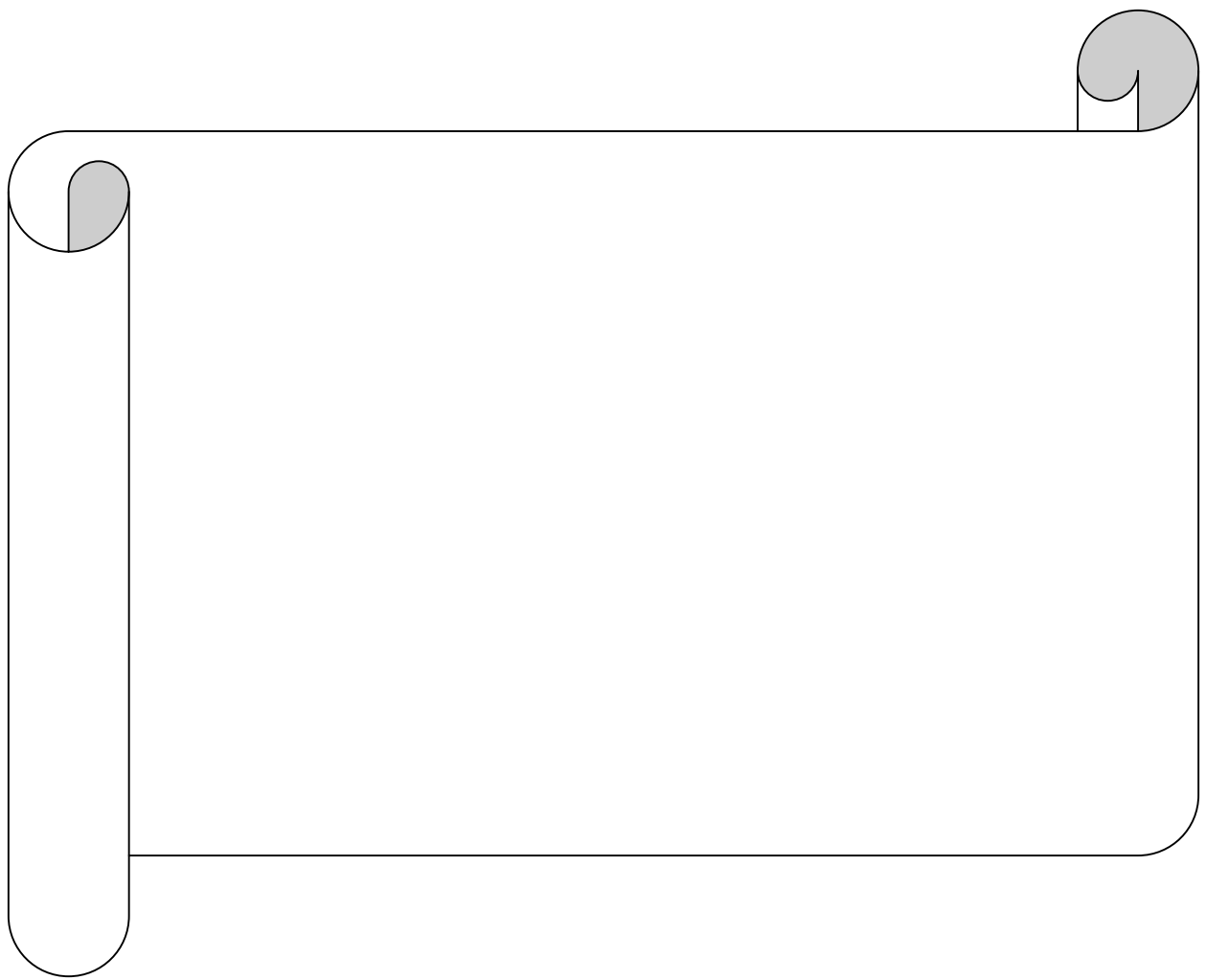
## \*\* شكر و عرفان \*\*

نشكر ونحمد الله عز وجل الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء وإتمام هذا الواجب وإنجاز هذا العمل.

الشكر وجزيل الشكر إلى أستاذتنا الفاضلة \*بن عتو حورية\* التي تكرمت بالإشراف على هذا العمل ولم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة ودعمها الدائم لنا، فقد كانت المرشدة الناصحة الطيبة وكانت الأخت قبل أن تكون الأستاذة.

فقد قيل " من علمني حرفا ملكني عبدا " ، فشكرا لكرمها وجزاها الله خير جزاء.

كما نتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خميس مليانة وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.



تعد الرواية فنّاً نثرياً إبداعياً تخييلياً يتمحور حول موضوع معين تتدرج فيه أحداثاً متنوعة، وقد تكون رواية حقيقية أو خيالية، وهي في تطور مستمر ومتواصل، كما تمثل الرواية الرقيب والحريص الدائم للمجتمع والأمة، لأن معاناة الشعب من الظلم والحرمان هي الدافع الأقوى إلى اللجوء لهذا الجنس الأدبي باعتبارها وسيلة يصور فيها ما يعانیه، وتبرز الرواية في شكل قصة على هيئة خطاب موجه من الراوي للقارئ، وبما أن المكان يشكل محوراً أساسياً من محاور البنية السردية، وعنصراً ضرورياً لابد من توفره، فالراوي مهما كان متمكناً إلا أنه لا يستطيع الاستغناء عن هذا العنصر الذي تتحرك فيه الشخصيات، وللمكان دوره الفعّال في التأثير على المتلقي سواء كان إيجاباً أو سلباً، والهدف من هذه الدراسة أن نبين دور المكان وفاعليته في النص، انطلاقاً من أسئلة تحولت فيما بعد إلى عناوين وجزئيات في البحث، ومن هنا نطرح إشكالية بحثنا:

**فيما تكمن دلالة المكان في الرواية العربية الجزائرية المعاصرة وبالتحديد في رواية تصريح بضياع لسمير قسيمي؟**

وتهدف هذه الإشكالية للإجابة عن التساؤلات التالية:

– ماهو المكان ؟

– ماهي أنواعه ؟

– ما دور المكان ووظيفته في الرواية؟

– ما دلالة المكان في رواية تصريح بضياع ؟

وقد صادفتنا بعض العوائق والصعوبات أثناء قيامنا بهذا البحث، منها المتعلقة بجمع المادة التي تكاد تنعدم في مكتبتنا المركزية، مما اضطرنا الأمر إلى الخروج والبحث في المكتبات الجامعية المجاورة.



هي رحلة مشبّعة بالمراجع ليقع اختيارنا في الأخير على الموضوع الذي ذكرناه سابقاً، وذلك بعد إطلاعنا على مجموعة من الدراسات التي اهتمت بالرواية فوجدنا معظمها كان ينصب على دراسة الشخصية أو الأحداث أو تقنيات السرد، و من ثم كانت رغبتنا أن ندرس دلالة المكان في رواية "تصريح بضياع"، وكذلك رغبتنا للنثر أكثر من الشعر، بالإضافة إلى فضولنا في الإطلاع على إنتاج الكاتب سمير قسيمي، وكانت من بين الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها في بحثنا:

- جوادي هنية، "صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج"، حيث تطرقت الباحثة إلى أهمية المكان الروائي في روايات واسيني الأعرج، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن دلالة المكان ودوره ووظيفته في روايات واسيني الأعرج.

أمّا بالنسبة لبحثنا فقد كان عن دلالة المكان في الرواية العربية الجزائرية المعاصرة وكانت عينة الدراسة رواية "تصريح بضياع" لسمير قسيمي.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المصدر الرئيسي وهو رواية تصريح بضياع لسمير قسيمي، وفي المقابل فقد استعنا بمجموعة من المراجع التي ساعدتنا في إنجاز هذا البحث، نذكر منها:

- حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية".
- شاكّر النابلسي "جماليات المكان في الرواية العربية".
- ياسين النصير "إشكالية المكان في النص الروائي".
- غاستون باشلار "جماليات المكان".

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة فقد قسمنا بحثنا إلى فصلين، شرعنا بالمدخل بصفة عامة، وقد تحدثنا فيه عن تعريف الرواية ونشأتها ومراحل تطور الرواية الجزائرية.



ثم تطرقنا إلى الفصل الأول الموسوم بـ: "الإطار النظري للمكان"، وأدرجنا ضمنه مفهوم المكان لغة واصطلاحاً وفلسفياً، وأنواعه المتعددة من مقارن ومطلق وتكميلي ونفسي، لكننا ركزنا على الثنائيتين (المغلق / المفتوح)، كما تحدثنا كذلك عن وظيفة المكان وأهميته في النص الروائي، ثم عنوان آخر موسوم بـ "طرق الروائي في تحديد المكان" وكان هذا ضمن ثلاثية (الرمز، الوصف، الصورة الفنية)، ليليه بعدها عنوان "دلالة المكان" وهو أساس بحثنا حيث تمت فيه دراسة دلالات المكان من تعبيرية ورمزية وأسطورية ثم في الأخير تعرفنا على علاقات المكان.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ "صورة المكان ودلالاته في رواية تصريح بضياع"، فقد كانت بدايته البناء العام للرواية حيث لخصنا فيه روايتنا المختارة، ثم تطرقنا لدلالة الأمكنة المذكورة في الرواية وتفسير معناها وإلى ما ترمي إليه كالسجن والزنزانة وغيرها من الأمكنة، في حين عالج العنوان الذي بعده علاقة المكان بالشخصية وتطرقنا فيه لدور المكان في بناء الشخصية وما مدى تأثيره عليها وعلى سلوكها، وقد تناولنا أيضاً في هذا الفصل بعض أساليب الوصف والسردي التي اعتمدها الكاتب في النص الأدبي المختار، حيث أن أغلب الأماكن المذكورة في الرواية تم وصفها وصفاً دقيقاً وتقريباً معناها من القارئ لأقصى درجة، ثم أنهينا بحثنا بخاتمة لخصنا فيها نتائج بحثنا بعدها ملحق يحتوي على نبذة عن حياة الكاتب، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج البنوي القائم على الوصف والتحليل.

وفي الأخير نشكر الأستاذة المشرفة "بن عتو حورية" على مجهوداتها وآرائها القيمة لنا ومساندتها طوال مشوار هذا العمل.



# الفصل الأول

## الإطار النظري للمكان

- مفهوم المكان.
- أنواع المكان.
- وظيفة المكان وأهميته.
- دلالة المكان.
- المكان وعلاقاته.

## 1. مفهوم المكان :

شهدت النصوص الروائية عموماً في الفترة الأخيرة تطوراً وتغييراً على مستوى مكوناتها الأساسية شكلاً ومضموناً ووظيفة، مما أعطاها المزيد من الدلالات والرمزية وخصوصاً مفهوم المكان الذي شهد عند الكاتب العربي توسعاً في دلالاته ورمزيته وجمالياته، فلم يعد المكان مجرد ديكور روائي من خلال المفاهيم والدلالات الجديدة، فقد تغيرت أنواعه ليصبح المفتوح مغلقاً أو المغلق مفتوحاً، وعنصر المكان يحظى بالدراسة أكثر من غيره من المكونات السردية، وهذا راجع إلى تعدد دلالاته الفنية، من مفتوح ومغلق إلى فردي وجماعي، باعتبار المكان هو الفضاء والحيز الذي تجري فيه الأحداث التي يعيشها الإنسان، ويتسع لحركته ويتفاعل معها ويكتشف جوانب من الشخصية.

### 1-1 المكان لغة:

ورد في التنزيل الحكيم لفظة المكان بمعنى المستقر، ومنه قوله تعالى، " فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا"<sup>1</sup>.

كما نجده أيضاً في آية أخرى من آيات الله في قوله: " قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ، فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ"<sup>2</sup>، وهي بمعنى الموضع.

ولا تختلف المعاجم العربية في مجملها على ما أسند للفظه مكان من معنى، ويعد لسان العرب لابن منظور أكثر هذه المعاجم عرضاً وتفصيلاً لهذه الصيغة، وأغلب المعاجم العربية وحتى القواميس تستند إليه في تعريفها للمكان، حيث قيل فيه: "المكان من المادة مكن"<sup>3</sup> ويعني موضع الكينونة للشيء، والمكان : الموضع.

وإذا كانت كلمة "مكان" كما يقول لالاند: "عندما يستعمل دون أي تحديد آخر، إنما تنطبق على المجال الهندسي الإقليمي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة مريم، الآية 22.

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآية 39.

<sup>3</sup> ، دار صادر للطباعة، بيروت، ط1 1997 6 83.

<sup>4</sup> ag، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2 2001 363.

ويرى طه وادي أن المكان في الحقيقة هو: "البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والتي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية، وعلى الروائي أن يهتم برسم المكان وتحديده، لأنه يعطي الحدث القصصي قدرا من المنطق والمعقولية"<sup>1</sup>.

من خلال هذه التعريفات والتي تتوافق مع الكثير من التعريفات في بطون المعاجم والقواميس القديمة والحديثة حول مادة "مكن" وما يتفرع عنها من ألفاظ كـ "كون - وما كان"، وغير ذلك من المشتقات نحصل على أن المكان لدى اللغويين هو الموضع المشغول والذي يدل على الخلق والموضع والمنزلة.

### 1-2 اصطلاحا:

سنسير مع النقد الأدبي الحديث في محاولة الوصول إلى المفهوم الاصطلاحي للفظـة "المكان" كونه أصبح يستمد ويستعان به في الحكم والتفسير من كل ميادين المعرفة كالفلسفة وعلم النفس وغيرها.

والمكان في الرواية هو: "مكان خيالي له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة، ويتمثل مفهوم الباحث للمكان الروائي في أن المكان في مجمل أحواله يشير إلى المشهد أو البيئة الطبيعية أو الاصطناعية التي تعيش فيه الشخصية الروائية، وتتحرك وتمارس وجودها، ويضم المكان قطع الأثاث والديكور والأدوات كافة بمختلف أنواعها واستعمالاتها"<sup>2</sup>.

ويعتبر مصطلح المكان من المكونات الأساسية للسرد وليس عنصرا زائدا في الرواية، إذ يكون في بعض الأحيان الهدف من وجود العمل الفني أو الرواية.

وقد نظر إليه في السابق على أنه مجرد خلفية للأحداث والشخصيات، لكن الدراسات الحديثة بدأت تفهمه على أنه كسائر العناصر الأخرى للرواية، يقوم بدور فاعل في بنائها وتركيبها، ومنه تنطلق الأحداث وفيه تسير الشخصيات، وقد يشحن بدلالات يكتسبها من خلال علاقاته بها، لذلك لا بد أن تحظى أسماء الأماكن بعناية أفضل، لما يدور فيها من

<sup>1</sup> طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1989 39.

<sup>2</sup> حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 1990 29.

وقائع وأحداث وأقوال، وهذه العناية تسمح لنا بتحديد موضع الأحداث وأفعال الشخصيات.

- إذا فالمكان في العمل الروائي بصفة عامة " لا يمكن الاستغناء عنه في أي حال من الأحوال، لأنه من المكونات الأساسية للخطاب السردي"<sup>1</sup>.

ومع أن هذا التعريف اللغوي حاول أن يضبط مصطلح المكان ككلمة، إلا أننا وجدنا مفهومه يحمل أكثر من مفهوم وأكثر من دلالة، وذلك ارتباطه بما هو موجود سواء كان محسوسا أو مدركا، ومنه فالمكان يأخذ تعريفه بناء على الدراسة التي تتناوله، إلا أن جميع الدراسات تتفق في كونها تخرجه من إطاره الجغرافي الجامد إلى إطار آخر يكفيه الخيال والفكر، فيحمل في دوره دلالتهماء، إذ نجد أن هناك من ربط مفهوم المكان بالوضع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد على اعتبار أن المكان هو: "المكان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه"<sup>2</sup>.

في حين هناك من ربطه بالعقل والأفكار الفطرية مثل: ديكارت، أما عند علماء الهندسة والمحدثين فتكاد تتقارب وجهات النظر بينهم، باعتبار المكان وسط ذو أكثر من بعد.

### 1-3 المكان فلسفيا:

عرف أفلاطون المكان بقوله هو: "الحاوي والقابل للأشياء"<sup>3</sup>، إذ عد هذا التعريف الاصطلاحي للمكان حجر الأساس، واللبنة الأولى في تحديد ماهية المكان، ثم جاء أرسطو الذي بحث في المكان بحثا مفصلا، بين أنه موجود بدليل أنه حين يوجد جسم يمكن أن ينتقل عنه، ويشغل محله جسم آخر، وقد عرف ابن سينا المكان تعريفا واضحا مظهرا ماهيته، فقال: "هو السطح المساوي لسطح المتمكن، وهو ما يكون الشيء مستقرا عليه، أو معتمدا عليه، أو مستندا إليه"<sup>4</sup>، ولقد استخدم الفلاسفة المسلمون مصطلح "المكان" وأجمع

<sup>1</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسات مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3 1984 75.

<sup>2</sup> أسماء شاهين، جمالية المكان في رواية جبرا ابراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، 1 2001 12.

<sup>3</sup> بدر نايف الرشيد، صورة المكان الفنية في شعر احمد السقاف، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط لتركيا،

2011-2012 27.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص27.

معظمهم على أنه: " الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده ويرادفه الحيز"<sup>1</sup>.  
وقد اقترح عبد القاهر الجرجاني ثلاثة تعريفات للمكان: هي المبهم والمعين والمحصور، حيث يعرف المكان المبهم: " بأنه مكان له اسمه نسميه به، بسبب أمر غير داخل في مسماه، مثل: الأمام، الخلف، فإن تسمية ذلك المكان بالخلف إنما هو سبب كونه الخلف من جهته، وهو غير داخل في مسماه"<sup>2</sup>.

أما المكان المعين فهو: " عبارة عن مكان له اسم سمي به، بسبب اسم داخل في مسماه مثل الدار، فإن تسميته تكون بسبب الحائط والسقف وغيرها، وكلها داخلة في مسماه"<sup>3</sup>. في حين يعني المكان المحصور: " السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي"<sup>4</sup>.

## 2. أنواع المكان:

يزداد عالم الرواية شساعة كلما قام على الاختلاف والتوافق، ويرجع ذلك أساسا إلى مكوناته، فالشخصية لها اختلافاتها وللازمنة تعددها، كذلك للأمكنة تنوعها، يفرض كل منها علاقة خاصة مع الإنسان وتأثيرات مختلفة على كيان شخصيته ومسار حياته، وقد قسمتها الدراسات إلى ثنائيات متناقضة، فمن المكان الفردي والجماعي إلى المحدود واللامتناهي، وأماكن جاذبة وأخرى طاردة، وأماكن مغلقة وأخرى مفتوحة، واستنادا لما قدمه شاكر النابلسي: " فإن للمكان أكثر من ثلاثين نوعا"<sup>5</sup>، كالمكان الرمزي والمركب والنفسي والمفتوح والمغلق وغيرها.

**2-1: المكان المفتوح:** وهو المكان المحدود بغير البنيان والمكشوف للعيان كالشارع والسوق الواسع وموقف السيارات والحدائق، أو نقصد بها الأماكن التي يستطيع جميع الناس دخولها دون طلب الإذن، ولكن لها حيزا شبه مغلق ومنها أماكن أخرى متفتحة لا يحدها أي

<sup>1</sup> فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1 2003 57.

<sup>2</sup> أكرم اليوسف، دراسة سيميائية، دار مشرق-مغرب دمشق، بيروت، ط1 1994 05.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص16.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص17.

<sup>5</sup> ، جماليات المكان في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1 1994 19.

مجال ويجد فيها مرتاحوها هامشا من الحرية"<sup>1</sup>.

أو لا متاهيا والذي يندمج ضمن المفتوح وهو " مجهول الحد باللحظ أو بالعد، فلا يسعنا أن نرسم ملامحه، أو نجمع جوانبه أو ندرك سرائره، والذي يتميز عموما بأنه إما أن يكون خاليا من الناس أو أنه لا يخضع لسلطة أحد، ولا لملكته، فيكون مكانا للأسطورة نظرا لوحشيته وانعدام مرافق الحياة فيه، كالصحاري الشاسعة وأدغال الغابات والبحار والمحيطات والقارات"<sup>2</sup>.

كما أن المكان المفتوح " ارتبط بالحرية من حيث الدلالة على حرية الحركة دون حواجز خارجية تحدها"<sup>3</sup>، فقد يجد الإنسان حرته في مكان مغلق ولكن محدوديته تحاصرها، فيعمل بإرادته وقوته وذكائه وما يملكه من وسائل على توسيع حقله وتحطيم الحدود وإحداث الثغرات في هذه الحواجز.

**2-2 المكان المغلق:** هو المحدود بغير البنيان والمستور عن العرفان، بما تحضنه الجدران، كالحجرة والغرفة والفندق والسجن والسيارة والقطار، أو المقصود بها الأماكن التي يلجها إلا أصحابها أو المقربون منهم وفيها يجدون كامل الحرية في القيام بشتى الأعمال، ويدرك بالحواس مما يعزل صاحبه عن العالم الخارجي، وكثيرا ما يكون رمزا للحميمية والألفة والأمن والانغلاق والعزلة والاكنتاب "<sup>4</sup>، وقد يستعمل الكاتب المكان المغلق للتعبير عن ما حدث في المكان المفتوح، باعتبار الأول جزءا من الثاني، وخضوعه للقياس وسهولة الفهم.

كما يحدث في الحديث عن سكان مدينة واحدة للتعبير عن معاناة إنسانية أو من خلال أحداث منجم كمكان محدود أو مغلق، ولا يكون وجود شخص واحد في مكانين مختلفين في نفس الوقت، مما يجعل المكان الفردي على انغلاقه يزداد قيمة وأهمية لدى الفرد والحياة الخاصة به.

1 جماليات المكان في الرواية العربية 20.

2 سيزا قاسم، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط2 2002 44.

3 المرجع نفسه، ص44.

4 مريم محمد عبد الله، د تحريش حدثا مفهوم المكانة في الرواية العربية، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد، بشار، العدد 1

2012 150.

وليس لانغلاق المكان وانفتاحه دلالة حقيقية على نفوس الشخوص، فقد تكون الحالة النفسية في مكان مغلق جيدة وقد تكون سيئة، وكذلك المكان المفتوح، إنما الحالة النفسية هي التي تجبر الشخصية على اللجوء لمكان معين، فالشاعر مثلا يأوي إلى الطبيعة والأماكن اللامتناهية عادة لتساعده على رسم خياله وانطلاق أفكاره، "والداعي إلى فكر معين يميل إلى الأماكن المفتوحة ليتمكن من نشر فكره بمرود إيجابي يعود على شغله، والحزين الكئيب يفضل الأماكن المغلقة التي تحضن همه وتخفي دموعه، فالمكان لا يصنع الداعي ولا الشاعر ولا الحزين، بل المكان لديه قابلية احتواء الجميع بمختلف مشاعرهم"<sup>1</sup>، إنما الشخص هو الذي يجعل للمكان طبيعة خاصة.

و" قد يكون المكان عاما يشترك فيه الجميع كصالة الانتظار والمستشفى والسوق، وقد يكون خاصا بشخص أو بمكانة، فالخاص بالشخص هو الذي يخضع لملكية هذا الشخص كالمنزل والمحل التجاري، والخاص بالمكانة هو الذي يخضع لسلطة الشخص كمكتب المدير أو غرفة السكرتير"<sup>2</sup>.

و" قد يكون المكان مرئيا يمكن إدراكه بالرؤية العينية كالمدرسة والشاطئ والبلدان كالصين وسوريا...، أو يكون تصوريا وهو الذي لا يمكن رؤيته، فيضطر الإنسان إلى تصوره مثل الجنة والنار والسموات"<sup>3</sup>.

أما غالب هلسا فقد قسم المكان لعدة أنواع، وهي كالتالي :

**2-3 المكان المقارن:** " وهو الذي يقدم فيه الروائي مكانين في لوحة واحدة لكي يقارن بين خصائص وجماليات كل منهما، والأمثلة كثيرة في رواياته"<sup>4</sup>.

**2-4 المكان الرحمي:** "هو المكان الذي يشبه رحم الأم، والذي يبعث على الدفاء والحماية والطمأنينة في أيام الطفولة، مثل بيت الطفولة والقرية، ويظل عالقا في الذاكرة طول العمر"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مرين محمد عبد الله، د تحريشي محمد، حادثة مفهوم المكانة في الرواية العربية 150.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص150.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص150.

<sup>4</sup> جماليات المكان في الرواية العربية 15.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص16.

ومع أنه كان قليل الحضور في الرواية إلا أن له أثر حيث بقي عالقا في ذاكرة البطل وتذكيره في بدايته، وهو المكان الأول رفقة أمه و أبيه و إخوته وظل حاضرا في وجدانه رغم كبره.

**2-5 المكان التكميلي:** " هو المكان الذي يأتي في الرواية عادة كجزء من معمارية مكان آخر عام، أو حركة عامة، لها أثرها ودورها في بناء أحداث الرواية، ومثل هذا المكان يمكن حذفه إذا كان غير ملتحم التحاما تاما بالمكان العام، والحدث العام للرواية، ويصعب على الناقد طلب حذفه أو التطاول عليه، إذا كان عكس ذلك، وعادة ما يصور هذا المكان تصويرا ضوئيا، دون أن يكون للروائي دور فني كبير في تحضيره، وتخمينه ضمن العجينة الروائية"<sup>1</sup>.

**2-6 المكان المطلق:** " وهو المكان الذي يحتوي المكان نفسه، وحضورا واضحا للمرأة، كما يحوي مكانا آخر غالبا ما يكون لوحة، أو قناعا، أو مجموعة من التماثيل، أو طبقا من القش معلقا في الحائط، أو بعضا من القش موضوعا في إحدى زوايا الحجرة، وأهم ما في هذا المكان، أن يكون خاليا من الكلام والفعل"<sup>2</sup>.

**2-7 المكان النفسي:** وهو مكان يأخذ اكتماله من مشاعر الشخصية وحالتها النفسية ليتحول إلى مكان جديد، " إنه المكان المصور من خلجات النفس وتجلياتها، وما يحيط بها من أحداث ووقائع"<sup>3</sup>، وهذا يشمل العديد من الأمكنة في الرواية، حيث احتوت على مختلف المشاعر من حزن وخوف وفرح وأسى وألم... الخ، فتلك الأمكنة تتشرب المشاعر إلى درجة الذوبان، ومن ثم الامتزاج بها، فهو متعلق بالحالة النفسية التي يكون فيها راوي الشخصيات، فهو " المكان النفسي أو المرتبط بالتداعي النفسي"<sup>4</sup>، وهو المكان المتعلق بالحالة النفسية لأبطال الروايات، وهذا ما نجده بكثرة في روايتنا.

1 جماليات المكان في الرواية العربية 17.

2 المرجع نفسه، ص20.

3 المرجع نفسه، ص19.

4 سطوة المكان وشعرية القصة، رواية ذاكرة الجسد، دراسة في تقنيات السرد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 2011

2-8 المكان الفوتوغرافي: هو المكان الجغرافي الذي نعرفه كما هو على أرض الواقع، بدون إضفاء أي رموز عليه أو مشاعر، " أي هو ما يصور تصويراً ضوئياً خالصاً دون تدخل من الروائي"<sup>1</sup>، ولقد تمكن هذا النوع من الأمكنة من تقديم بطاقات فنية مساعدة لفهم الأمكنة الأخرى.

أما الناقدان " بورنوف burnouf " و " أونيليه ounilih " فقد قسما المكان إلى واقعي وخيالي، ويقترّب الناقد "ياسين النصير" من تقسيماتهما كثيراً إلى حد التطابق:

✓ المكان الواقعي: يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية.

✓ المكان المفترض: ابن المخيلة البحث<sup>2</sup>.

### 3. وظيفة المكان وأهميته:

إن المكان كغيره من البنى الحكائية لا يمكن أن يهمل في الرواية ولا يمكن إغفال دوره كعمود فقري لها، حيث تجري أحداثها في نطاقه، وتتلون شخصياتها بألوانه، بل وهناك وظائف يؤديها، ومن دونها يصبح فهمنا للأحداث مستحيلاً وهذه الوظائف تنقسم إلى قسمين:

### 3-1 الوظائف الخارجية: " هي وظائف ذات تأثير ثانوي تفيد في إطلاع القارئ على الحالة

العامة للمكان، والصفات التي تجمع ما بين أفرادها وتقسّم بدورها إلى قسمين:

أ. وظائف نقدية: وتفيد في نقد الأحكام والقوانين التي تحكم المكان سلماً أو إيجاباً.

ب. وظائف معرفية: وهي الوظائف التي تجعل القارئ يكون صورة واضحة عن صفات

المكان سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية، وهذه الوظائف هي مكملات ثانوية

لبناء الرواية<sup>3</sup>.

### 3-2 الوظائف الداخلية: " تختصر هذا الوظائف في أنها تعبر عن شعور ذاتي أو شعور

1 جماليات المكان في الرواية العربية 17.

2 سيزا قاسم،

3 دار مشرق، بيروت، لبنان، ط2 1975 771.

جماعي لأبطال الرواية، فأما التعبير عن شعور ذاتي أي عن ذات السارد وما يحس به اتجاه هذا المكان، وأما التعبير عن شعور جماعي ففيه يتخذ السارد من المكان مسرحاً للتعبير عما يحس به قاطنوا هذا المكان"<sup>1</sup>.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، " لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي على كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات"<sup>2</sup>، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه وتعبّر عن وجهة نظرها، " ويكون هو نفسه المساعد على تطوير وبناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة للوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة"<sup>3</sup>.

ويلعب دوراً هاماً في النص الروائي، " ويعد أحد الركائز الأساسية التي يركز عليها العمل الأدبي في الرواية"<sup>4</sup>، فهي تحتاج لمكان تدور فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات، ولا يهم إذا كان المكان حقيقياً أو خيالياً من نسيج خيال الكاتب، فكما أجد بناءه أخذت مكونات الرواية دورها بشكل أفضل، وبذلك يتحول هذا الأخير " من مجرد إطار أو أرضية إلى عنصر مشارك في العمل الأدبي، وإلى واحد من أبطاله بل إنه قد يصبح البطل الأول أو الأساسي"<sup>5</sup>.

فهو الركيزة الأساسية التي يبني عليها العمل ككل ليصبح مفتاح المرور إلى بوابة الرواية، فدخل المكان في الرواية يعتبر عنصراً فعالاً في تطويرها وبناءها وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وفي علاقاتها ببعضها البعض، أو كما يعبر عنه إبراهيم عباس أنه : " قد

1 .771

2 ، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، ص20.

3 المرجع نفسه، ص20.

4 المرجع نفسه، ص20.

5 محمد جبريل، دراسة في القصة والرواية، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط2 2000 07.

يكون الهدف من وجود العمل الروائي في بعض الأحيان<sup>1</sup>.

ولأن ارتباطه بالأحداث السردية يساعد إلى جانب الزمان والحدث على نمو حركة السرد، وقد اخترنا دلالات المكان كموضوع للدراسة إذ هو قد نال حصة كبيرة في الشعر العربي من خلال المقدمات الطللية ووصف الطبيعة على اختلافها، فهو لم يحظ بدراسات هامة في الأدب النثري حتى جاء الاهتمام به مع التقنيات الحديثة للرواية، ليصبح هو الركن الأساسي في بناء العمل.

ومنه فواقعية المكان في العمل، هي واقعية لغوية ينهض من خلالها بوظيفة بنائية دلالية وجغرافية تشكلها حركة الشخوص فيه.

أما كحقيقة، فالمكان قدرة تأثيرية كبيرة على الشخصية من الناحية البيولوجية كما يتعدى تأثيره إلى طبيعة اللغة واللهجات التي تستعملها وكذلك اختلاف سلوكها وانطباعاتها بطابعه، فنلاحظ سلوك الشخصية التي تسكن الريف يختلف عن التي تسكن المدينة، كما تؤثر بدورها عليه من خلال العمران أو الزراعة، فتحول المكان الخالي القاحل إلى مكان نابض بالحياة. لذا فأهمية المكان تكمن في تلك الصورة الفنية التي تخرجه عن نظام القاعدة المادية الملموسة إلى نظام فكري جديد يبدعه المؤلف، ليضحى المكان ذلك الشيء المدرك بالفكر والعقل والمحسوس بالنفس والعاطفة الموجودة داخل الشخصية وبين الأزمة.

ولتزيد أهميته عليه أن يكون "كأي عامل آخر يجب أن يكون فعالا وبناءا في الرواية، وإلا أصبح كتلة شحمية، لا تضيف إلا الترهل، ومن هنا كان المكان يلعب في بعض الروايات الرشيقة دور البطولة وليس عنصر البطالة"<sup>2</sup>، إضافة إلى ذلك فهو ينظم الأحداث ويمارس عليها نوعا من السلطة، فلا تتحرك الشخصية إلا من خلاله وبذلك تظهر العلاقة بين الحدث والمكان كأنها علاقة جدلية.

يمثل المكان "مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا

<sup>1</sup> ابراهيم عباس، تقنيات البيئة السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، د ط، 2002

<sup>2</sup> 32.

جماليات المكان في الرواية العربية 274.

وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"<sup>1</sup>، ويعمل المكان كذلك على تغذية الخطاب الروائي، " ويعطي للمتخيل مظهر الحقيقة"<sup>2</sup>، وتعمل اللغة الروائية على الاستفادة من المكان الواقعي في علاقته بالإنسان، وتستمر في شعريتها للمكان باستعمال آليات خاصة، فتجعل من هذا الأخير شكلا من أشكال التمثيل للعالم الواقعي وعبر تزويده ببعض العلامات الطبوغرافية التي تزيد من الإيهام بواقعيته، كأن تسميه بالاسم، على غرار ذكر أسماء المدن، وتصف خصائصه كذكر أسماء الشوارع والأحياء والمعالم التاريخية... وغيرها، على الرغم من تسمية المكان وحدها عاجزة لا محالة عن إرساء دعائم المكانية في النص الروائي، ويكاد يتفق الباحثون في مجال النقد الأدبي أن المكان الروائي هو مكان قائم بذاته ينهض على مقومات وخصائص جعلته يمثل " العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق، والمكان يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية بشكل أعمق وأكثر أثرا"<sup>3</sup>، ويتأسس المكان الروائي في خيال القارئ، وليس في العالم الموضوعي، فقراءة الرواية هي " رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ، فمن اللحظة الأولى ينتقل القارئ إلى عالم الخيال من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ"<sup>4</sup>، ويرى البعض أن " العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"<sup>5</sup>.

#### 4. سبل الروائي في تحديد المكان:

#### 4-1 الوصف:

المكان الروائي هو بناء لغوي، يشيده خيال القارئ، والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها، ذلك أن " المكان في الرواية ليس

1 تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2010 99.  
 2 سليمان كاصد، دراسة بنوية في الأساليب السردية، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، دط، 2003 128.  
 3 ياسين النصير، اشكالية المكان في النص الروائي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ط1 1986 05.  
 4 سيزا قاسم، بناء الرواية، ص74.  
 5 جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3 1987 05.

هو المكان الطبيعي أو الموضوعي وإنما هو مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق الكلمات ويجعل منه شيئاً خيالياً<sup>1</sup> ، فالمكان في النص الروائي مكان متخيل وبناء لغوي كما سبق و ذكرنا، " تقيمه الكلمات انصياعا لأغراض التخيل وحاجته، فالمكان إذا نتاج مجموعة من الأساليب اللغوية المختلفة والمختلقة في النص"<sup>2</sup> .

و للروائي طرائق شتى في تشييد المكان الروائي منها: الوصف، استخدام الصورة الفنية، وتوظيف الرموز، ولكل منها دوره الفعال في النص الروائي، فالروائي حين يلجأ إلى الوصف، يبذل قصارى جهده للبرهنة على قدرته أن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحاً، ذلك أن الوصف هو : " ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات"<sup>3</sup> ، أي " ذكر الأشياء في مظهرها الحسي الموجودة عليه في العالم الخارجي، فالوصف يقدم الأشياء للعين في صور أمينة تحرص على نقل المنظور الخارجي أدق النقل"<sup>4</sup> ، ولما كان الوصف " يلائم الأشياء التي توجد بدون حركة"<sup>5</sup> ، فإنه يختص بتمثيل الأشياء في سكونها، والروائي حين يلجأ إلى وصف المكان، فإنه يرمي من وراء ذلك إلى بث المصدقية فيما يروي، يجعل المكان في الرواية مماثلاً في مظهره الخارجي للحقيقة نابعا من مرجعيته الواقعية، ذلك أن الروائي حين يصف المكان الطبيعي، يستثمر عناصره الفيزيائية لتجسيده، بحيث يجعلنا " نقف على الصور الطبوغرافية\* للمكان والتي تخبرنا عن مظهره الخارجي"<sup>6</sup> ، "إذ أنه يرسم صورة بصرية تجعل إدراك المكان بواسطة اللغة ممكناً"<sup>7</sup> ، جاعلا من الوصف أداة لتصوير المكان المكان وبيان جزئياته وأبعاده، وهو بتوظيف عناصر المكان المحسوسة لتشكيل مكانه المتخيل، إنما " يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي ويشعر

1 بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 1986 94.

2 استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ط، اكتوبر 1998 151.

3 ، المطبعة المليحية، القاهرة، د ط ، 1935 70.

4 سيزا قاسم، الرواية 80.

5 ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية لحكاية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 1989 108.

\* الطبوغرافية : كلمة الطبوغرافية تطلق على الخريطة التي تلتقط بعض صورها من الجو وتسمى أيضا الخرائط الجوية أو اللوحات الجوية، وهي عبارة عن خريطة كبيرة أو متوسطة المقياس، تمثل عليها الظواهر الجغرافية الطبيعية والبشرية.

6 بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، ص60.

7 سمو روجي الفيصل، 13 1996 306.

القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطبعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع"<sup>1</sup>.

والروائي حين يعمد إلى إسقاط مجموعة من الصفات الطبوغرافية على الفضاء أو المكان الروائي والتي هي عبارة عن " المعاني الوصفية التي تدخل في تركيب صورة المكان والقيم الرمزية المنبثقة عنها"<sup>2</sup> ، إنما يفعل ذلك بغية البرهنة على العلاقة بين المكان والشخصية في النص الروائي، كما أن اختلاف هذه الصفات وتنوعها من مكان إلى آخر في المكان الروائي، يمكن أن يعكس لنا الفروق الاجتماعية والنفسية لدى شخوص الرواية، هذا فضلا عن أن الدلالات النابعة من هذه الفروق يمكن أن تكون تعبيراً عن رؤية شخوص الرواية للعالم وموقفهم منه، كما قد تكشف عن الوضع النفسي للشخوص وحياتهم اللاشعورية، بحيث يصير للمكان بعد نفسي يسبر أغوار النفس البشرية عاكسا ما" يثيره المكان من انفعال سلبي أو إيجابي في نفس الحال فيه "<sup>3</sup>.

وتلزم الإشارة إلى أن وصف الروائي للمكان قد يقتصر على بؤرة بعينها أو يكون شاملا بحيث يعرض مشهدا أو مشاهدا مكانية كاملة، والروائي بفعله ذلك يهدف إلى " تهدئة الحركة السردية الصاخبة، والتخفيف من حدة الأحداث القهرية، من خلال بث صور بصرية تتسم بالرومانسية...، ما أن تقع عليها العين حتى تستشعر الهدوء والسكينة"<sup>4</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الصفات الطبوغرافية التي يسقطها الروائي على المكان، محددة إياه من حيث الشكل والنوع، تؤكد لنا مدى استثمار الروائي لتلك الصفات لتجلية دلالات معينة تغذي نصه الروائي، وتمثل منعطفات مشعة في عالم النص، وغني عن القول أن وصف المكان لا يقتصر على إسقاط الصفات عليه أو على بعض متعلقاته بشكل مباشر والتي بواسطتها يرصد الروائي خلفيات المكان، إذ قد يستخدم الروائي وصفا غير مباشر من

<sup>1</sup> سيزا قاسم، اية 80.

<sup>2</sup> ، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، ص47.

<sup>3</sup> استراتيجية المكان 109.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص119.

خلال توظيف الصورة الفنية.

#### 4-2 الصورة الفنية:

تعد "نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه، وإنما تعني إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقة الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة"<sup>1</sup>، وهذه الصورة الفنية لا تتوافر إلا حين يكتسب المكان "صفة سيميوطيقية" \* من خلال إعطائه قيمة دلالية تميز بين الظواهر المكانية التي لا يختلف بعضها عن بعض في الواقع"<sup>2</sup>، ذلك أن الشيء في وجوده الخارجي قد يكون له وظيفة وهي الإشارة إلى حقيقة واقعه في العالم، لكن وجوده داخل النص يجب أن يحمل دلالة خاصة ويتعدى مجرد كونه إشارة.

وتتعدى الصورة الفنية بوصفنا، متلقين حدود الرؤية للمكان بعناصره الفيزيائية إلى المشاركة الوجدانية، وهو ما يؤكد لنا أن "الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صورا بصرية فحسب، بل تثير صورا لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته"<sup>3</sup>. وهنا تكمن عبقرية اللغة الروائية حيث تتمكن من "إعطاء أبعاد حسية لما لا وجود له إلا بالوعي وفيه، وفي إضفاء صفة الواقعية على ما هو تصوري محض"<sup>4</sup>، ومن ثم يتسنى لنا القول بأن التصوير اللغوي إحياء لا نهائي يتجاوز الصور المرئية لكونه صورة فنية "تمتاز بأنها ثمرة انتقاء وتهذيب للمادة المحسوسة المستمدة من الطبيعة أو من الحياة الإنسانية، وغاية هذا الانتقاء هو إثارة التأثير أو الانفعال الجمالي"<sup>5</sup> ووظيفة الكلمات في المحيط الخارجي لا تعدو أن تكون مجرد إشارات لأشياء بعينها بيد أن وجودها داخل سياق النص الروائي يعطيها بعدا دلاليا أعمق، إذ تخرج هذه الكلمات

<sup>1</sup> الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1973 34

\* سيميوطيقة: هو علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، سواء كانت طبيعية أم صناعية، والبحث عن المعنى والدلالة وإستخلاص البنية المولدة للنصوص منطقيا ودلاليا.

<sup>2</sup> سيزا قاسم، القاريء والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، الكويت، 1995 256.

<sup>3</sup> الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي 341.

<sup>4</sup> جورج طرابيشي، رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2 1985 85.

<sup>5</sup> أميرة حلمي مطر، ثقافة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1976 37.

من مجرد كونها إشارات وإلى كونها رموزا ذات كثافة دلالية، وهي بذلك تنتقل من معناها الدلالي المباشر إلى مستوى أعلى في الدلالة، وجدير بالذكر أن الكلمات تصير رموزا في سياق النص الروائي حينما تكون موحية لمعان كثيرة، تلك المعاني التي يمكننا الوصول إليها من طبيعة الكلمة ذاتها، ومن تكرارها داخل النص الروائي، ومن كيفية توظيفها في إطار الصورة الفنية، فضلا عن علاقتها ببقية عناصر الرواية من شخصيات وحدث وزمان... الخ.

#### 4-3 توظيف الرمز:

ولتوضيح ما سبق بصدد الرمز، رأينا أنه من الأفضل أن نسوق بعض الكلمات كأمثلة، مثل: الأرض، الماء، النار، حال توظيفها داخل النص الروائي واستنادا إلى ما ذكرناه سابقا ومن خلال ربطها بدلالات في أصولها المرجعية الدينية والشعبية والتاريخية تكتسب دلالات مزدوجة مثل: (البداية- النهاية)، (الحياة والموت)، وهي دلالات مغايرة للدلالات المباشرة لهذه الكلمات، " فكلمة الصحراء مثلا تشير في دلالتها المباشرة إلى مكان بعينه، إلا أنها في سياق النص الروائي قد تحمل دلالة رمزية هي الحرية، ذلك أن الصحراء لا تخضع لسلطة أحد و لا يملكها أحد، وتكون الدولة وحاكمها بعيدة بحيث لا تستطيع أن تمارس قهرها"<sup>1</sup>.

وإذا ما تصورنا كلمة الصحراء بما تشير إليه من مكان بعينه خال من العوائق والحواجز، وجدنا أنها تؤكد التحرر باعتباره " المعنى الأعلى لكل وجود إنساني"<sup>2</sup>، كما أنها تتماشى مع أبسط صور الحرية التي هي " مجموع من الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات، أي بقوة ناتجة من الوسط الخارجي، لا يقدر على قهرها أو تجاوزها"<sup>3</sup>.

#### 5. دلالة المكان:

إذا كان الإبداع الروائي في شكله المنجز يتم داخل إطار المكان، فإن الروائي المبدع هو الذي يستطيع أن يتعامل معه تعاملًا فنيًا، فيتخذ معه الإطار المادي الذي تتم في

<sup>1</sup> يوري لوتمان، ، ترجمة سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة، ع6، القاهرة، الجامعة الأمريكية، 1986 81.

<sup>2</sup> ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2 1955 39.

<sup>3</sup> 82.

<sup>3</sup> يوري لوتمان،

خضمه أحداث الرواية ووقائعها، وبذلك تعددت أدوار المكان وتتنوع دلالاته، فالمكان في مسيرة أي إنسان له دلالاته وقيمته، فهو مرتبط به حتى قبل أن يولد، فعلاقة المكان بالزمن وبالشخصية وبالأحداث وباللغة كلها تحدد وظائفه ودلالاته، فيشرح المكان الروائي بمستويات دلالية متنوعة، إذ أنه " علامة مفتوحة على العالم الخارجي، الدلالي والثقافي، على أنه هذه الدلالة مرهونة بالسياقات التي تقرأ فيها، والقارئ الذي يقوم بفعاليات القراءة النصية"<sup>1</sup>، التي يعيد من خلالها بناء المكان، واكتشاف تراكماته الدلالية.

ولا يؤسس المكان بمفرده رواية، ولا يصنع عوالمها التخيلية وأشياءها إلا إذا كان تفاعل تفاعلا إيجابيا مع بقية المكونات الروائية، من شخصيات وأحداث وتقنيات وأساليب فنية، من شأنها أن تتضافر جميعا مع المكان، تجسد صورته وتخلق ديناميته وشعريته، ولا شك أن الذاكرة الثقافية للمكان تمد الروائي بروية ثرية تطبع المتخيل بسمات خاصة، إلا أن ذلك كله لا يعطينا رواية فنية تضطرب فيها الأحداث، وتتمو فيها الشخصيات وتتصارع، وترشح فيها اللغة الأدبية بمستويات دلالية مختلفة، لأن الرواية لا يمكن لها أن تتحول إلى حياة كاملة ومتكاملة إلا بتفاعل مكوناتها وتكاتفها في النص، فتغدو الرواية كما يقول تودوروف: " كائننا حيا واحدا وغير منقطع مثل كل جهاز عضوي آخر... تعيش بالضبط إذا ما ظهر في كل جزء منها شيء ما من جملة الأجزاء الأخرى"<sup>2</sup>، هذا لا يضع بروز عنصر من عناصرها على حساب غيره من العناصر الأخرى، فتوسم الرواية بأنها زمانية أو درامية أو رواية حدث أو رواية شخصية أو مكان، يقول "جيمس" في مقال له يعود إلى عام 1884، " هناك روايات رديئة وروايات جيدة، كما أن هناك صورا رديئة وصورا جيدة...، هذا هو التمييز الوحيد الذي أجد له معنى"<sup>3</sup>.

ولأن المكان الروائي يؤسس بنفسه الدقة والعناية التي تؤسس بها عناصر الرواية

<sup>1</sup> خالد حسين، من التفسير إلى التأويل، دار التكوين للترجمة والنشر، سوريا، دمشق، ط1 2008 167.  
<sup>2</sup> تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2 1990 26.  
<sup>3</sup> هنري جيمس، الفن الروائي، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة إنجيل بطرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د، 84 1971.

الأخرى، فإن هذا الأخير " يؤثر فيها ويقوي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة، وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه"<sup>1</sup>، أي أن حضور المكان في الرواية يسهم في اشتغال البنية النصية وإغنائها، وعلى العكس، فإن حضوره المتصدع غير الناجز، يعمل على تعطيل البنية وتفككها وهلهتها، و" أهمية المكان كمكون روائي تكمن أساسا في عمله الفعال في مجمل المكونات، البنى والسيرورات التي تشكل الرواية، وكذا في البرهان على وجود "رواية مكانية" أو على الأقل وجود سيرورة مكانية داخل الرواية، تتغلب على السيرورات الأخرى وتطبعها بها"<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس يتحول المكان الروائي إلى عنصر جمالي تتناسب جمالياته مع جماليات مكونات الرواية ككل، ولا تفارقها في جميع المستويات والأحوال، " وهو في حركة أخذ وعطاء مع شخصيات الرواية وأحداثها، يتوجه بوجهتها ويرتبط بحركتها، ويقدم ما تدفع به أحداثها إلى الأمام"<sup>3</sup>، ومن هنا فإن سبر أغوار المكانية في الرواية لا يتأتى إلا بالنظر إلى المكان كجزء من كل، ولهذا الأخير القدرة على خلق المعنى، ولا تقف أهميته عند مستوى تشكيل البنية النصية، بل تتجاوز ذلك إلى مستوى الدلالة التي يحددها التمشير اللغوي للنص الروائي، " والدلالة الأدبية لا تقتصر على معنى كل عنصر من العناصر التي تدخل في تشكيل البنية النصية، ولا على شبكة العلاقات المتبادلة بينهما، بل لا بد أن تشمل طريقة آدائها لوظائفها، وكيفية انتظامها في السياق الذي وردت فيه"<sup>4</sup>، ومنه فوضع المكان الروائي قد تغير، فلم يعد ذلك الديكور الجامد أو ذلك الوجه الملون، الذي يبرز محتوى الرواية، بل حتى أنه لم يعد يقف عند دلالة معينة يسندها الكاتب له، لأن الكاتب دلالاته المتعددة أول ما تقوم عليه هو تعدد القراءات ومن ثم تعدد الدلالة مما يؤدي إلى انفتاح

1 بنية الشكل الروائي 32.

2 الرواية العربية والصحراء يا، دط، 1992 235.

3 أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم 17.

4 البنية والدلالة في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 2005 388.

النص، وعليه فالقراءة النقدية الثاقبة تفرض نفسها على النص، لتصبح دلالة المكان أهم ما يمكن أن يتناول للدراسة، لأنه مرتبط بجميع عناصر النص بل ومؤثر ومغير في مجرياته لعلاقته المتداخلة بين جميع مكونات الرواية، ويمكننا أن نقسم دلالات المكان إلى: الدلالة التعبيرية، الرمزية، الدينية، الوظيفية، الأسطورية.

**5-1 الدلالة التعبيرية:** تعنى التعبيرية في حد ذاتها بالخيال الذي يجعل الأشياء جامدة نابضة بالحياة، كما بإمكاننا تحويل من يملكون الحياة إلى أجسام خالية لا روح فيها، وظهر هذا المصطلح أول مرة في فرنسا عام 1910، إذ ابتدعه الفنان الفرنسي (هارف - harf ) ، "ولقد استعمله الكاتب النمساوي " هارمان بار" في الأدب عام 1914" <sup>1</sup>، وإهتمام التعبيرية يصب فيما تتركه من أثر في متلقيها، لأنها تعتمد أساسا على وقع الأشياء والإحساس بها، وما تثيره من إحساس لدى المتلقي، وذلك من خلال الإيحاء والرمز والدلالة، حيث يتم في ضوءها بناء المكان من خلال تحديد خصائصه ومميزاته وإيجاد الحلول الجمالية في ضوء ذلك، " ومنه فالدلالة التعبيرية للمكان تتجلى من خلال المظهر الخارجي، سواء مثل هذا المظهر صوتا أو رائحة أو صورة" <sup>2</sup>.

وكتمثيل للدلالة التعبيرية من خلال الصوت، ما نجده في صوت المياه المتدفق من الشلال، وما يبعثه من حركة ونبض وتعبير عن الحياة، أيضا ما نجده في الصوت الذي يصدر من المغارات بسبب الرياح وما يبعثه من خوف وقلق، حتى أننا نعد الصمت صوتا تعبيريا لأنه يجعلنا نقف أمام المكان في رهبة لما يحمله من سكون وكأننا نسمع لهذا المكان صوتا وصدى، كمثال ما نجده عند دخولنا للمقابر أو عند نزولنا في أماكن خالية.

أما الدلالة التعبيرية من خلال المظهر، " فالمكان فيها مثله مثل أي شخصية، إذ يتخذ من مظهره شكلا من أشكال التعبير المتعدد، والذي يساعده على إبراز هذه الدلالة في الفترة الزمنية التي يوظف فيها المكان، والدلالة التعبيرية للمكان لا تبقى عند حده الجغرافي، بل

هرة، ط1 1999 30.

<sup>1</sup>  
<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص31.

تنتقل إلينا، لأننا بصورة أو بأخرى نعتبر أجسادنا أمكنة موازية للأمكنة الحقيقية، فكلاهما يحمل تعبيراً خاصاً به"<sup>1</sup>.

**5-2 الدلالة الرمزية:** تعد الدلالة الرمزية من أهم الدلالات التي يمكن أن يحيل إليها المكان في النص الروائي، إذ تعد من أصعب ما يمكن أن يدرجه الكاتب فيه، لأن هذه الدلالة تقتضي فنية وبراعة ومثانة في الأسلوب، كل ذلك في إنزياحية لغوية عذبة، ولقد نبه " رولان برونوف -roulan breneuf" إلى القيمة الرمزية والإيديولوجية المتصلة بتجسيد المكان وإلى ضرورة دراسة هذا الجانب واعتباره وجهاً من وجوه دلالة المكان"<sup>2</sup>.

والملاحظ على هذه الدلالة أنها لم تقف عند المكان كجغرافيا، " بل تعدته إلى الصورة لكونها مكان، إذ تختلف دلالتها من صورة إلى أخرى ومن لوحة إلى أخرى، إذ يتحول سطح اللوحة أو ورق الصورة من مكان حاو لموضوع إلى موضوع في حد ذاته من خلال الرسم، إذ من شأنه أن يبرز أكثر من دلالة، وعادة ما ترمز لصاحبها فتظهر توجهه، كما تبرز ولو بشكل بسيط ذلك الجانب الخفي من حياته بغض النظر عن سعادته أو تعاسته فيها"<sup>3</sup>.

ولأن المكان جزء من تاريخنا ومن حياتنا، فقد شكلت منه الإنسانية رمزياتها وفنيتها، إذ اتخذت منه عجائبها السبع لأن حقيقة كل أعجوبة هي حقيقة مكان، وتعد الدلالة الرمزية من أكثر الدلالات حضوراً في العمل، إذ برزت فيها موهبة الكاتب بامتلاكه لكمة وقدرة لغوية بارعة، وهي ما جعلت المكان يحتوي على دلالة فنية، مثل توظيف الكاتب لـ " الزنزانة" التي تحتوي على أكثر من دلالة رمزية فتارة تصبح رمزا للخلوة بالنفس والتفكير وتارة مجلس لقاء بين الأصدقاء وتارة أخرى رمزا لليأس والألم.

### 5-3 الدلالة الوظيفية:

وهي نوع من الدلالة التي يمتلكها المكان من خلال النص الروائي، و" المقصود بهذه الدلالة تمكنه من إنجاز مهام دون غيره من الأمكنة، وتلعب الشخصية الدور المهم في إبراز

<sup>1</sup>.32

<sup>2</sup> ابراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية العربية المغاربية .36

<sup>3</sup>.30

هذه الدلالة، كاحتواء المكان نوعاً من الخصوصية مما يسمح بلقاء الشخصيات كاجتماع قادة سياسيين في غرفة الاجتماعات<sup>1</sup>، وهنا نجد أن هذه الغرفة قد أدت دورها من خلال السرية الموجودة فيها، "أو كلقاء الأصدقاء في النادي لما فيه من حميمية، وبالتالي فكل المكانين قد أديا وظيفة بتوفير الأجواء المناسبة لشخصيهما"<sup>2</sup>.

فإبراز دور المكان وتحديد وظيفته، من خلال دقته "فاتخذ من كل تحرك أو سكن غاية، ومن كل تحول أو تنقل حدثاً ومن كل قلق أو ضيق بالحيز سبباً في السعي إلى تحقيق غاية"<sup>3</sup>. ولهذا نتساءل في كثير من الأحيان لماذا يختار الروائي أو الكاتب عدد مناطق أو بلدان معينة في كتاباته؟ .

أليس لاحتوائهما على دلالات ووظائف تخدم النص السردي دون غيرهما؟، فيمكن لبعض الأمكنة أن تحتوي على دلالات ووظيفية تكون حاملة له، والسجن من بعض الأمكنة الرئيسية التي دارت فيها الأحداث على سبيل المثال، فقد حضي بحضور قوي في النص، سواء في جانبه المادي أو المعنوي، فهو مكان يقوم بوظيفة تقيد الشخصيات، وتقهر حرياتهم، وتمنعهم من ممارسة أي نشاط عقلي، لكنه يساعد على فتح أبواب الذاكرة، ويمسح خيوط الأمل المترجى، لأن الشخصية فيه غالباً ما تدخل مع ذاتها في حوار وجدل طويل.

#### 4-5 الدلالة الأسطورية:

تظهر هذه الدلالة من خلال توظيف الروائي لبعض الأمكنة ذات الدلالة الأسطورية بغية شحن النص وتحميله دلالات إيحائية كثيفة، والمكان هنا لا يأتي صريحا بل يكون شيئاً ضمنياً، يفهم من الدلالة كتوظيف أسماء بعض الأمكنة، إذ يمكن للاسم أن يعطي العديد من الدلالات، أولها الدلالة التاريخية على اعتبار الأسطورة حادثة موهلة في القدم، ثم الدلالة الأسطورية، " فالأسطورة تعمل على تكملة النص الروائي بفتحه على ثقافات وحضارات

29.

1

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص30.

<sup>3</sup> رشيد قربيح، دلالة الزمن والمكان عند ابن هدوكة، بان الصبح نموذجاً، كتاب الملتقى الرابع عبد الحميد بن هدوكة، دار هومة، الجزائر، د ط،

2001 125.

مختلفة والعمل على المزج بينها من خلال النص، كالحضارة اليونانية مثلا من خلال الأهرامات، هذا المكان الأسطورة الذي أعجز الفكر الإنساني المعاصر في كيفية بناءه<sup>1</sup>. وتحسن الإشارة في هذا المقام إلى أن المقصود بالمكان في هذا البحث هو المكان الجغرافي الذي تصنعه الكلمات في الرواية، والذي يظل يشكل ديكورا أو إطارا للأفعال والأحداث، يجمع أشتاتها ويؤسس لدلالاتها، وأيضا يؤسس لجماليات الرواية كوحدة فنية. وقد أردنا أن يكون عنوان هذا البحث "صورة المكان ودلالاته" في الرواية العربية المعاصرة، ورواية "تصريح بضياح" لسمير قسيبي أنموذجا، لأن المكان الروائي تجسيد لغوي وهو لا يكتمل إلا نهاية الرواية، فهو يضاهي الصورة.

## 6 المكان وعلاقاته:

### 6-1 علاقة المكان بالشخصية:

يعد المكان من العناصر المهمة في بناء الشخصية الروائية، فلا يمكن أن توجد شخصية بدون مكان، فالمكان فضاءها وحيزها الذي تتحرك فيه، فهو لا يقل أهمية عن دور الزمان في بناء الشخصية، فكلاهما يشكلان دورا ذا أهمية كبيرة في بناء الشخصية وهما متصلان ومتلازمان، " فلا يمكن تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان، كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سردي دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان، في أي مظهر من مظاهره"<sup>2</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن تجربة الإنسان التي يعيشها ضمن ظروف معينة وعامل الحس الإنساني في نفس الإنسان قد يدفع إلى الميل نحو الزمان أو المكان، تقول نبيلة إبراهيم: "إن تجربة الشخصية مع الزمان أو المكان تعتمد إلى حد كبير على ميل الحس الإنساني نحو الزمان أو المكان"<sup>3</sup>، وقد يرتبط الزمان مع المكان في العمل الروائي وهذا ما يطلق عليه " الزمكاني" أو " الزمكان الروائي" الذي يعني على حد تعبير " ميخائيل باختين": "العلاقة

1 30.

2 تحليل الخطاب السردي 28.

3 ابراهيم نبيلة، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، مصر، د ط، 2001 160

المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب إستيعابا فنيا<sup>1</sup>.  
وعليه فإن المكان بالنسبة للشخصية الرئيسية يعد الوعاء الذي تتحرك فيه، فالشخصية لا يمكن أن تعيش خارج إطار المكان، ففي المكان ولدت، وعليه ترعرعت ونشأت، وفيه تموت، فهو الحيز الذي تحويه طيلة حياته، وهو ليس جامدا غير قابل للتفاعل بل هو متفاعل معها، يستجيب لها ويتأثر بها، " فالمكان في حركة أخذ و عطاء مع الشخصيات الروائية وأحداثها، يتوجه بوجهتها ويرتبط بحركتها، ويقدم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائما"<sup>2</sup>.

فلا مناص من القول: " إن الشخصية والمكان دائما في حركة تبادلية، يؤثر كل منهما بالآخر، ولا يمكن أن يتوقف التأثير ببعضهم بعضا، فبقدر ما يصوغ المكان الشخصيات والأحداث الروائية، يكون هو أيضا من صياغتها، وإن البشر الفاعلين صانعي الأحداث هم اللذين أقاموه وحددوا سماته، وهم قادرون على تفسيره، ولكنهم بالطبع بعد أن يقوموا بذلك فهم يتأثرون بالمكان الذي أوجدوه"<sup>3</sup>.

واللافت للنظر أن هذا التأثير يجعل المكان يعكس الحقيقة النفسية الشخصية، فالمكان ينعكس على نفسية الشخصية، فينتقل من التأثيرات الخارجية إلى الباطن النفسي لها، لذا يمكن القول " إن سطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيرات وفاعلياتها المباشرة إلى أعماق التكوين النفسي للشخصيات"<sup>4</sup>.

وهذه التأثيرات التي تتجاوز الظاهر لتصل إلى أعماق النفس ليست مقتصرة على شخصية واحدة فقط، بل تشمل جماعات في بيئات مختلفة، وهذه التأثيرات التي يحدثها المكان فيها تجعل بعض الجماعات تتسم بطابع نفسي خاص مختلف عن طابع جماعات تسكن في موطن آخر، كل حسب رغبتها ووجودها، فنحن نجد " تكوين الإنسان ذهنيا ونفسيا يتحدد بالمناخ والطبيعة التضاريسية للمكان، كمثال على ذلك: إبن المناطق الباردة يختلف

<sup>1</sup> ميخائيل باختيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 1990 05.

<sup>2</sup> أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا 17.

<sup>3</sup> هلسا غالب، المكان في الرواية العربية 3-2، بيروت، 1980 73.

<sup>4</sup> الحداثة والتجسيد المكاني 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984 172.

عن ابن المناطق الحارة، وابن الجبل غير ابن السهل، فنجد وفق هذا أن أغلب الجبلين في حياتهم العادية أكثر إنطواء وصمتا من سكان السهول، ففي الجبال يظطر الناس عادة إلى العيش في مجموعات مغلقة صغيرة، وإمكانية الاختلاط بهم أقل<sup>1</sup>، فيبدو أن لكل مكان له خصوصيته في التأثير على الشخصيات الروائية، ونوعية التأثير لا بد أن تختلف من مكان لآخر بحسب طبيعة المكان الذي تعيش فيه الشخصيات، فالأماكن الضيقة تنعكس على الأشخاص الذين يقطنون فيها بالضيق والسأم، فالسجن مثلا يعد من الأماكن الضيقة ذات الأبعاد المحددة التي لا تستطيع الشخصية أن تتحرك فيه كما كانت خارج السجن، فالشخصية في السجن معدومة الحرية بسبب السجن " الذي يعد من الأمكنة التي تحاصر الشخصية حصرا ماديا يقاس فيه على مستوى الجسد كفاعلية، حيوية وتصعيد لمفهوم العفوية"<sup>2</sup>، أما الأماكن المفتوحة ذات الفضاء الواسع فتعكس أيضا على نفسية أصحابها الذين يقطنون بها، على سبيل المثال الناس الذين يقطنون في الضواحي الشعبية يتسمون بصفات مختلفة عن الناس اللذين يقطنون بالأماكن الراقية، وكذلك فإن الذين يقطنون في القرى يختلفون في طبائعهم وأمزجتهم عن اللذين يقطنون في المدن، فكل منهم له من الخصائص النفسية والذهنية والذوقية ما يجعله يختلف عن الآخر.

والمكان يلعب دورا كبيرا في تحديد الشخصية الروائية، فالشخصية الروائية تتحدد من خلال المكان، ويتحدد المكان من خلال رؤيتها، وبهذا يتحقق التفاعل بين الذات والموضوع"<sup>3</sup>.

والمكان بما يحتويه من أبنية وغيرها ينعكس على سلوك الشخصيات الروائية، فهذه الأخيرة شديدة التأثير بكل ما يدور حولها وبكل ما تراه، فالبيت الذي تسكنه الشخصيات مثلا يشهد حركة وعلاقات اجتماعية وحتى شكله وما يحويه من منافذ ومداخل قد يدل على الشخصية التي تقطنه، فالروائي عندما يصف البيت فكأنه في الوقت نفسه يصف الشخصية،

<sup>1</sup> قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1997 131.

<sup>2</sup> جنداري ابراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، الأردن، ط1 2001 242.

<sup>3</sup> سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1992 67.

"قبيت الإنسان امتداد لنفسه، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان"<sup>1</sup>، وكذلك تتابع حركة الشخصيات الروائية داخل الرواية قد يوحي بصورة غير مباشرة بالمكان الذي تعيش فيه، كذلك فنحن عندما نتابع حركة الشخصيات ينشأ لدينا شعور بصورة غير مباشرة بوجود المكان"<sup>2</sup>، وشعورنا لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال براعة الروائي وقدرته على متابعة حركة الشخوص وتتابعها في ثنايا السرد، وكلما كان الروائي مدركاً للعناصر الداخلية والخارجية للشخصية ونجح في توظيف هذه الشخصية مع الأحداث في الواقع الروائي لمسنا إحساساً خاصاً بوجود أماكن تلك الشخصيات، أي لمسنا إحساساً بصورة الأماكن الفنية التي لا يستطيع الروائي تحقيقها من خلال الوصف المباشر بل من خلال حركة الشخصيات في أماكنها، " فنحن لا نقرأ أي وصف للمكان ولا للشخصيات ولكننا نتعرف عليهما معا من خلال تفاعلها ووجودهما وحركتهما معا، وبالأحرى نتعرف على ملامح المكان وجغرافيته من حركة الشخصيات فيه من خلال أسلوب خط السير، وليس أسلوب المشهد، ومن خلال منظور المشارك وليس منظور المراقب، فالمكان ليس موصوفاً أو حتى مقدما، من خلال وجهة نظر الكاتب وإنما تختلف صورة المكان من خلال الحركة فيه والحياة به، ومن خلال التعامل معه بوصفه ببديهية كحقيقة من حقائق الحياة، إن لم يكن هو حقيقة الحياة الأساسية"<sup>3</sup>، وهذا ما يجعل مهمة الروائي أكثر صعوبة وبحاجة إلى براعة أكبر حتى يستطيع أن يخلق الروح المكانية التي لا يمكن خلقها بدون شخصيات، فالمكان ملتصق بالشخصية والإنسان، لذلك " فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية البشرية، قل لي أين تحيا أقل لك من أنت، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها ولكنها تسقط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها وتسقط على المكان قيمتها الحضارية"<sup>4</sup>، والمكان مهما بدت درجات التغيير فيه فإنه يبقى ثابتاً نسبياً يحافظ على طابعه

<sup>1</sup> سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردى من أجل وعي جديد بالتراث 288.

<sup>2</sup> عبد اللطيف احمد، الزمان والمكان في قصة العهد القديم 16 3، الكويت، 1985 82.

<sup>3</sup> الحدائثة والتجسيد المكاني 172.

<sup>4</sup> يوري لوتمان، جماليات المكان عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2 1988 63.

الذي يؤثر على نفسية الشخصية وطبعها، ومهما بلغت درجة التغيير فيه فإن الشخصية الروائية تبقى في حالة اقتران معه، لا تستطيع الانفلات منه، فهي دائما تسعى إلى التعرف على ذاتها من خلاله، "فالمكان يتسم بدرجة من الثبات النسبي الذي يساعد الأنا على التعرف على ذاتها، ويساهم في حمايتها من عواطف التشتت والضياع، التي توشك عملية التغيير، أو بالأحرى التشويه"<sup>1</sup>، ويجب أن لا يغيب عن البال أن المكان في النص الروائي ليس مكانا جغرافيا فقط، بل هو مكان خيالي من إبداع الروائي الذي ينفر من الصور الواقعية المجردة ويميل إلى جعل المخيلة هي الأساس في إبداعه، فالروائي يضيف على الواقع الذي يختاره شيئا من فكره وشعوره وخياله ليصبح الواقع فنيا يتلائم مع الفن الروائي، وحتى حركة الشخصيات في المكان لا يتضمنها في النص الروائي كما هي، بل يضيف الروائي إليها بخياله وحسه وذوقه ما يجعل عملية التفاعل بين الشخصية والمكان تفاعلا فنيا يبدعه الروائي بملكته الفنية، "فالمكان الروائي يتجاوز الحدود الجغرافية والفيزيائية ليكون مكانا خياليا، وإن كان موجودا على أرض الواقع، لكنه يتخذ أبعادا عميقة من خلال ارتباطه بعناصر العمل الروائي، لذلك تتعدى صورة المكان باعتباره رابطا جغرافيا بين الشخصيات ليتخذ ملامح نفسية من خلال علاقته بالشخصية الروائية"<sup>2</sup>، وعندما يقترن المكان بعناصر النص السردي فإن المكان يصبح ذا دلالات وإيحاءات فنية، بما قد يتضمنه المكان من أشياء ومناظر طبيعية وأشكال مختلفة وسمات لونية مختلفة أو ما قد يتسم به المكان من ضيق أو اتساع أو من نور أو ظلام، وهذه الدلالات والإيحاءات التي يوحي بها المكان تحتاج إلى متلق جيد صاحب حدس وخبرة في قراءة العمل الروائي، "فالمكان حامل للمعنى والدلالة أكثر مما هو مجرد شيء مصمت"<sup>3</sup>، وهذا ما يعزز القول: بأن فنية المكان الروائي تحتم على الروائي أن يبحث عن روح الحياة في الأمكنة التي يختارها، وقدرة الروائي على

<sup>1</sup> الحساسية الجديدة واستخدامات المكان  
<sup>2</sup> عوض مها حسن يوسف، المكان في الرواية الفلسطينية 1948-1988، إشراف إبراهيم السعافين، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك 1991 .332  
<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص94.

بناء شخصيته من خلال الاتصال بمكان حركتها ونموها تساعد الروائي على تحقيق رؤيته الفنية التي يسعى إليها، وتساعده على كشف آلية التفكير لدى الجماعات والكتل الاجتماعية. فالمكان يقف دلالة على قيم محددة خاصة " كما يفصح عن عقلية الهيئة الاجتماعية وطرائق تفكيرها ومن خلالها أيضا يمكن الغوص في طبقات المجتمع ووعياها الطبقي"<sup>1</sup>، ومن هنا نستطيع القول: أن المكان وحركته الشخصية فيه لم يكن عبثا في الرواية، وليست وظيفته الإيهام بالواقع فحسب، بل لابد له من دلالات ووظائف تتعدى ذلك، فله وظائف قد تحمل مهمة الكشف عن إيديولوجية المجتمع والرؤية التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ، و"الشخصية الأدبية شخصية مصنوعة من خيال الأديب ومن عمله، فالصلة بينهما وبين الشخصية هي أنها رمز فني لها"<sup>2</sup>.

والمكان كذلك لا يسلم من خيال الروائي وإبداعه، فهو كالشخصية لأنهما لا يخرجان عن دائرة التفاعل المستمر، ولا يمكن فصلهما عند الحديث عن حركة الشخصيات في الرواية، فكلاهما يخضعان لعملية التأثر والتأثير، مما يؤدي إلى خلق عالم روائي يلبي هدف الفنان ومبتغاه، فالروائي يقدم عالما أكثر مما يقدم قضية، أو حادثا أو شخصية، وتفاعل الشخصية مع المكان لابد أن ينتج عنه عدة مستويات تختلف عن بعضها بعضا، كل حسب الظروف التي تعيشها الشخصية في المكان، كالانتماء مثلا، وتظهر هذه العلاقة عندما يحدث اتصال وتفاعل بين الشخصية والمكان، وهذا التفاعل يخلق علاقة حب للمكان الذي تعيش فيه الشخصية، أي أن الشخصية تشعر بأن هناك رابطا روحيا قويا بينها وبين المكان الذي تعيش فيه، والغالب أن الإنسان يحب المكان الذي ترعرع فيه ونشأ، وعلى أرضه ولد، ويتجلى الشعور بهذا الحب والانتماء عندما يغادر الإنسان هذا المكان ويبتعد عنه، إذ سرعان ما ينتابه الحنين والشوق إليه، ويزداد هذا الحنين كلما زادت فترة البعد والاعتراب عن مكانه ووطنه، وهذا الانتماء الكامن في أعماقه لابد أن يدفعه للعودة، لذا فإننا " نجد العديد

<sup>1</sup> دلالة المكان في مدن الملح لعبد الحميد منيف، مجلة أبحاث اليرموك، مج 9 2 1991 17.

<sup>2</sup> محمود الربيعي، عن قضية الأدب 185 1976 20.

من الشخوص مهما ابتعدوا عن موطنهم الأصلي يعودون" <sup>1</sup>، وكذلك هناك عدة عوامل عززت الانتماء في نفس الشخصية كذكريات مرتبطة بذاكرتها وخاصة ذكريات الطفولة التي جرت في مكان نشأته، فهي ترتبط بشعور وعاطفة الشخصية، وتسهم في خلق علاقة الانتماء والحب للمكان، وبذلك فإن حب المكان يرتبط مع الإنسان منذ نشأته وهو محفور في أعماق الحس الإنساني، وفي بعض الحالات قد تتحول العلاقة بين الشخصية والمكان إلى حالة تتأفر، وتظهر هذه الحالة عندما يتحول المكان بالنسبة إلى الشخصية إلى مقر غير مرغوب فيه، هذا ما يجعل الشخصية تتفر منه وتعيش حالة من الاغتراب النفسي والذهني والفكري، وهذا لعدة أسباب منها العامل الاقتصادي على سبيل المثال، حيث تؤدي الظروف الاقتصادية التي تشهدها الشخصية مثلا إلى النزوح عن مكانها والاعتراب، ومما ذكرنا سابقا نستطيع القول أن علاقة الشخصية بالمكان الذي تعيش فيه ليست خاضعة لمعيار واحد فقط، وليست ثابتة على مستوى واحد، بل إنها خاضعة لميزان التغير الذي قد يتصاعد فيصل إلى مستوى الانتماء، وقد ينخفض فيصل إلى مستوى التنافر، والذي يتحكم بهذا الميزان هو: "الظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية، إذ قد تتحول نظرة الإنسان للمكان الواحد من الود إلى الضد في ظل ظروف معيشية" <sup>2</sup>، ومنه فالشخصية القصصية والمكان يتبادلان المعنى، وكل يأخذ هويته من الآخر، وهذا الترابط بين المكان والإنسان يدل على قوة العثور المكاني في الشخصية وفق أبعاده، ومن خلال تحديد الملامح العامة لها وتمييزها عن غيرها، حيث الأمكنة تنتج شخصياتها المتميزة والمختلفة، " والمكان عنصر فاعل في تحديد طبيعة الشخصية ولامحها، بحيث يمكن التمييز بين شخصية وأخرى بناء على المكان الذي تنتمي إليه" <sup>3</sup>، فنجد بعض الكتاب في بعض الروايات يقومون بإعطاء وصف للشخصية والبيئة التي تعيش فيها، وبالتالي لا يتركون المجال للمتلقي في تتبأ المكان الذي انحدرت منه الشخصية، وأما في بعضها الآخر فنجدهم يعطون فقط المظهر الفيسيولوجي،

<sup>1</sup> سعيد يقطين،

ي العربي، بيروت، ط1 1997 242.

<sup>2</sup> ابراهيم الفيومي، المكان ودلالاته 19 1 1997 19.

<sup>3</sup> أوريدة عبودة، المكان في القصة القصيرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3 2009 30.

ويتكون تحديد المكان للمتلقى، فالكاتب عندما يقول عن شخصية أنها ذات بشرة سمراء وشعر مجعد، فخيال القارئ يقوده مباشرة إلى منطقة الجنوب، وعندما يقول عن شخصية روايته أنها بيضاء، فهذا يعني أنها منحدره من بيئة شمالية أو أوروبية، وحتى اللهجة ونوعية الطعام والسلوك هي مؤشرات هامة، يعطيها الكاتب للمتلقى يساعده على تحديد بيئة الشخصية، وهكذا تظهر لنا العلاقة الوطيدة بين المكان والشخصيات الروائية، " فلا يستطيع التشكيل بعيدا عنها كما لا يمكنها هي الأخرى أن تتجزأ أحداثا خارجة، فهو البيئة التي تتحرك فيها وتمارس حياتها، ولا يكتسب المكان قيمته إلا إذا اخترقته الشخصيات"<sup>1</sup>.

## 6-2 علاقة المكان بالزمن:

لا يمكن عزل المكان عن باقي عناصر الرواية خاصة الزمن، فهو يدخل في علاقات متنوعة مع جميع المكونات، والزمن الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، "الشخصيات التي تتأثر بمكان ما، فإنها لا تتأثر إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان"<sup>2</sup>، فكل العناصر تكمل بعضها البعض، فلا مكان دون شخصيات ولا شخصيات دون زمن. فالزمن من المقومات الأساسية التي شغلت بال الدارسين واستقطبت اهتمامهم وذلك لارتباطه بكل ما يمد الإنسان بصلة سواء من قريب أو من بعيد، في ماضيه أو حاضره، أو حتى آمال مستقبله، وذلك لشساعة المساحة الزمنية، " إلا أن الزمن يبقى مخلصا ومقيدا بثلاثة أبعاد هي: الماضي، الحاضر، المستقبل"<sup>3</sup>، و" يؤثر الزمن في العناصر الأخرى ويعكس عليها، وهو حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى"<sup>4</sup>، ويعد هذا الأخير بحركته وسرعته الإيقاع النابض في الرواية والقصة، و" يكتسب أهمية بالغة في حياة الإنسان، فهو متأصل في حياتنا اليومية، فالحياة زمن والزمن حياة"<sup>5</sup>، و"لا يمكن أن نرصد العلاقة بين المكان والزمن في أن كل قصة تفرض نقطة انطلاق زمنية

<sup>1</sup> أوريدة عبودة، صيرة 31.

<sup>2</sup> أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2004 78.

<sup>3</sup> سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبيين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 2005 61.

<sup>4</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية، ص27.

<sup>5</sup> مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2004 12.

ونقطة اندماج في المكان، أو يلزم كل قصة على الأقل أن تحدد منذ البداية زمانها ومكانها معا<sup>1</sup>.

وما يفرض نفسه في البداية هو استحالة الفصل بين الزمان والمكان ذلك أن "علاقات الزمان تتكشف في المكان والمكان يدرك ويقاس بالزمان الفني"<sup>2</sup>، فالمكان شيء محسوس بخلاف الزمان الذي هو مرتبط بإدراك الإنسان النفسي، فإن كان الزمان يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فالمكان يمثل إطارها، ومنه فالمكان والزمان هما عصب لا يمكن تجاهله أو التهوين من وجوده أو أهميته، ولذا فإن المكان عنصر زمني من عناصر الرواية، وكذلك الزمن عنصر مكاني من عناصر الرواية.

يقول محمد مفتاح، "إن الزمان بأنواعه المختلفة إطاره هو المكان الذي ينجز فيه، ولذلك فإن لا مناص عنه"<sup>3</sup>، فالزمان في الرواية لا يتحقق إلا في إطار مكاني.

ويعد الزمان والمكان عنصران مهمان في العملية السردية، فالزمان وحده بدون مكان كالشكل الذي لا مضمون له، لأن تحديد مفهومه غير ممكن إلا ضمن الإطار المكاني، و"يطلق باختين (michail bakhtine) على العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعابا فنيا اسم كرونوتوب (chronotop)، أو الزمان الذي يعني حرفيا الزمان-المكان"<sup>4</sup>، ويذهب إلى أن علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمن، " هذا التقاطع بين الأنساق وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمان الفني"<sup>5</sup>، وتعد هذه المجاورة بين الزمان والمكان هي دعوة لإدراك العلاقة بينهما والتأكد من ضرورة متابعة حركتهما داخل النسيج السردية.

### 3-6 علاقة المكان بالوصف:

للمكان علاقة وطيدة مع الوصف، " وأول من أولى الوصف إهتماما كبيرا هم أصحاب

<sup>1</sup> جنيت جبرار وآخرون، ، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا، المشرق المغرب، دط، 2002 .05  
<sup>2</sup> ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، .06  
<sup>3</sup> دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، المغرب، الدار البيضاء، ط1 1987 .96  
<sup>4</sup> ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية .05  
<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص06.

الرواية التقليدية على رأسهم الروائي الفرنسي "بلزاك" التي امتلأت رواياته بالبيوت والأثاث والملابس الموصوفة بدقة، أرادها الكاتب أن تكون ديكورا وإطار أحداث يعكس المكان الواقعي داخل النص"<sup>1</sup>، و" يعد الوصف دعامة أساسية من الدعائم التي تقام بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ، وهو أداة فاعلة في التعريف بالمكان وإستقصاء جوهره وتجسيد عمقه الحضاري"<sup>2</sup>، و" يلعب الوصف دورا هاما إلى جانب المكان في تأدية المسار السردي، وإتمامه على أكمل وجه، حيث تؤدي الوصف دورا أساسيا في تطوير الحدث، لأنها النوافذ التي يرشح منها الفكر، ويلحظ ذلك بدقة خلال التكرارات المؤكدة"<sup>3</sup>، أي أن الوصف لا يقل أهمية عن المكان الروائي، بل يؤدي الدور الفعال الوظيفي لإكمال العمل الروائي.

وإذا ما عدنا للحديث عن علاقة الوصف بالمكان الروائي، يمكن القول: " أن الوصف يرتبط بجميع المكونات الروائية، ولكنه يرتبط بدرجة أكثر بالمكان الذي يكون إرتباطه به مباشرا وعضويا، فالروائي غالبا ما يلجأ للوصف ليرسي دعائم مكانية ويشيد بناءها بما يصوغه من مقاطع وصفية"<sup>4</sup>. وبالتالي " فالوصف له دلالة خاصة ويكتسب بذلك قيمة جمالية حقة"<sup>5</sup>، وبذلك ترى الناقدة سيزا قاسم بأن " أسلوب الوصف هو أداة تشكل صورة المكان"<sup>6</sup>.

وقد أولى الكاتب سمير قسيمي وصف المكان في روايتنا أهمية خاصة، وقد تمثل هذا الوصف في وصف المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، هذا وتهتم رواية "تصريح بضياح" بالمكان من خلال ما قدمه الروائي من لوحات وصفية للزنزانة وساحة السجن ومركز الشرطة...

<sup>1</sup> شريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، د ط، 2010 197.  
<sup>2</sup> جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، تخصص خيضر بسكرة، 2012-2013 206.  
<sup>3</sup> زياد مغامس، مظاهر أسلوبية في رواية جسد بنات يعقوب، لحسن حميد، مجلة البيان، ع389، ديسمبر 2002 66.  
<sup>4</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية 83.  
<sup>5</sup> في نظرية الرواية،  
<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص29.

وكذلك قام الروائي بوصف الشخصيات وكان هذا بذكر شكل بعض الشخصيات المذكورة في الرواية، وذكر محاسنها ومساوئها، كما أن الوصف " ليس له قيمة نفسية فحسب بفعل الألوان التي تضيفها الشخصية على الواقع الذي تراه بل أن هذا الوصف تقول سيزا قاسم أنه: توالي الأشياء التي تبرز للناظر"<sup>1</sup>.

#### 4-6 علاقة المكان بالسرد:

إن المكان الذي درسه الشعريون يتميز بكونه " ليس هو فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكن أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها"<sup>2</sup>، وعلى هذا النحو يصبح المكان ضروريا بالنسبة للسرد، ويصبح هذا الأخير محتاجا لكي ينمو ويتطور كعالم معلق ومكثف بذاته إلى عناصر زمانية ومكانية، فالحدث الروائي لا يقدم سوى مصحوب بجميع إحدائياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية، فالرواية القائمة أساسا على المحاكاة لا بد لها من حدث، وهذا الحدث يتطلب بالضرورة زمانا ومكانا، " إلا أن المكان الروائي هو الذي يستقطب جماع اهتمام الكاتب لأن تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتتهض به في عمل تخيلي"<sup>3</sup>. وقد أكد الناقد " رولان تودوروف" في سياق حديثه عن أهمية المكان في البنية السردية أن هذا الأخير "بإمكانه أن يصبح محددًا أساسيًا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي أنه يتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري يحدث قطيعة مع مفهومه كديكور، ويتحوله هذا يصير عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية والرمزية للسرد، وذلك بفضل بنيته الخاصة والعلائق المترتبة عنها"<sup>4</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن بناء المكان الروائي يبدو مرتبطا بخطية الأحداث السردية، وبالتالي يمكن القول بأنه " هو المسار الذي يتبعه اتجاه السرد، وهذا الارتباط الإلزامي

<sup>1</sup> جبرار جينيت وآخرون،

<sup>2</sup> بنية الشكل الروائي 28.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص29.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص28.

بالمكان الروائي والحدث هو الذي سيعطي الرواية تماسكها وانسجامها"<sup>1</sup>. نستنتج ختاماً لهذا الفصل بمعرفتنا لما هو المكان وماذا يعني وعن علاقته بالشخصية والزمن والوصف والسرد وكذلك أنواعه، وقد توصلنا إلى أنه يعد أهم الأركان التي تشكل بنية النص الروائي، فهو العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، وهو لا يرتبط ببنية الرواية فحسب، وإنما يسهم أيضاً في تشكيل أبعادها الدلالية. كما تعرفنا على دلالاته الوظيفية والأسطورية والرمزية والتعبيرية، واستنتجنا أن علاقة المكان بالشخصيات علاقة وثيقة حيث يقدم لنا يد المساعدة في التعرف على الشخصية، ذلك أن القراءة الدلالية للمكان توضح لنا ملامح الشخصيات، لذلك يمكن اعتبار المكان بناءً يتم تشكيله اعتماداً على ملامح ومميزات الشخصية، ولهذا الأخير علاقة متينة أيضاً بالزمن، حيث يعتبران وجهان لعملة واحدة، فلا مكان دون زمن ولا زمن دون مكان، فهما يكملان بعضهما البعض.

---

1 بنية الشكل الروائي 28.

# الفصل الثاني

صورة المكان ودلالته في

رواية تصريح بضياح

- البناء العام للرواية .

- دلالة المكان في رواية تصريح بضياح.

- المكان والشخصية.

- أسلوب السرد والوصف في الرواية.

**1: البناء العام للرواية:**

تعد رواية "تصريح بضياع" للكاتب والروائي "سمير قسيمي" " أول عمل روائي له صدر سنة 2009 من الدار العربية للعلوم ناشرون، رواية تدور أحداثها في سجن الحراش، كان بطلها أستاذ جامعي في العقد الثالث من عمره، رواية أقل ما نستطيع قوله عنها بعد قراءتها أنها رواية حزينة مليئة بالعنف، عنف متعدد المصادر والأهداف، عنف داخلي وعنفي خارجي لمسناه طيلة صفحات الرواية من أول صفحة إلى آخرها، لكن قدرة الروائي الفنية وأسلوبه السردي الممتع والجميل لا يجعلاننا نشعر بهذا العنف فقط، ولكن نتحايل عليه ونتمرد ضده مثل ما فعل بطل الرواية حينما وجد نفسه في قلب دوامة من المشاكل والمآزق التي لا يعرف كيف قادته قدماه للوقوع فيها، ولم يعرف كيف يمكنه النجاة منها.

بدأت الرواية بذهاب البطل إلى مركز الشرطة لاستخراج تصريح بضياع بطاقة المكتبة الوطنية، ولكنه يجد نفسه فجأة محل استنطاق لدى أحد المفتشين: " لكن لا صراخي ولا استجدائي ردا قضاء ذلك الشرطي، وعود أن يشرح لي الأمر، ركني بقدمه فسقطت على الأرض، ثم وضع في يدي القيد، وثبت طرفه الآخر في القضيب الحديدي المثبت على الجدار"<sup>1</sup>، ثم سرعان ما يقاد إلى السجن من دون أن يعرف سبب التهمة الموجهة إليه.

ومن هناك تبدأ رحلة الرواية في " دهاليز السجن"<sup>\*</sup>، ورحلة التذكر عبر الفلاش باك، فبين محطة وأخرى ينتقل السارد من الحاضر المسجون إلى ماضيه العائلي، مستعيدا آلامه القديمة التي لم يزلها السجن إلا إشتعالا وتأججا، فهي من جهة نوع من المقاومة، عندما يحصل تذكر لحظات الأنا والحب، ونوع من الإستهزاء بسبب القصة الخرافية التي كان يتذكرها بإستمرار، وهي التي تتبنى عليها قدرية الرواية إن صح التعبير، فالمصير معروف من خلال تنبؤ امرأة عجوز قالت لوالدته قبل ولادته بنحو عشرين عاما ما سيحدث له، أو ما سيحدث للعائلة بأكملها، " ظهرت النبوءة قبل ميلادي بنحو عشرين سنة، ومن فرط ما

<sup>1</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياع، منشورات البيت، الجزائر، ط 1 2009 .17  
دهاليز: يعنى بالدهليز القبو أو الخندق أو السرداب وهو مسلك طويل ضيق.

رددتها أمي ثلاثين عاما على مسامعي آمنت بها"<sup>1</sup>، عائلة فقيرة تتكون من أب باطش وأم ضعيفة، وبيت من غرفتين، لا يسع العدد الكبير من الأنفاس التي تعيش بداخله، ينتهي مصير الأب إلى الموت من دون أن يعرف البطل كيف مات والده، أو أين دفن، بينما يقوم الأخ الأكبر بطرد العائلة، ما يجعلها ترحل إلى أماكن غير ملائمة في إحدى ضواحي الجزائر، حيث يرتكب الإرهاب منكراته في الفقراء الذين لا يجدون حماية، وهناك حدثت المأساة الأكثر فضاة حيث هاجمت مجموعة من الإرهابيين البيت، وبالصدفة أنقذه خاله من مخالب الإرهاب، ولكنه يتذكر دائما تلك الصورة البشعة حين أغتصبت أخته أمامه، وقتل أحد إخوته وأصيب آخر بفقدان البصر، تترسب كل هذه المشاهد في ذهنه وعاش معها كقدر مأساوي، ولقد لعبت نبوءة العجوز دورا في تقبله للأحداث، كأنها قدر لا يمكن الفرار منه، غير أن البطل الذي مر على كل هذه الولايات لم يعرف كيف يتصرف أمام وضع جد معقد عندما وقع في يد شرطي ماكر، لا تعنيه مآسي الآخرين وآلامهم الداخلية، فتحول الشرطي في نظر البطل إلى آلة أخرى للعنف، ولنشر التعفن والحقن، يقول البطل: "مع كل نظرة كنت أشعر برغبة عارمة في الإنتهاء، شعور غريب يعتريك وأنت ترى ما تبقى من كرامتك يهان بنظرة حاقدة من رجل يجهل كل شيء عنك، هل تراه يفهم ما تعنيه الرحمة، وهو ينظر إلى مثلي بنظرة كهذه ؟"<sup>2</sup>.

ثم يقدم الروائي مثوله أمام القاضي بطريقة السخرية التي تكشف عبثية الوضع، وتفشي الفساد في كل أجهزة الأمن والعدالة، يقول: "أعترف أنني كنت خائفا لأن القاضي رئيس الجلسة هو أكثر قضاة الحراش قسوة وصرامة، إذا وقف متهم بين يديه، يقف منكسر النفس، لا يرجو من الرحمة حتى نسيمها، يديه خلف ظهره، ولا يجراً حتى على النظر، فقد كان أرحم ما يحكم به أقصى العقوبة"<sup>3</sup>، وبقي البطل مرميا في السجن من دون أن يعرف ماهي تهمته التي سيعاقب عليها، ومن دون أن يشرح لنا هو إن كان ارتكب جريمة في يوم من

<sup>1</sup> سمير قسيمي، تصريح بصياح 07.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص19.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص119.

الأيام، كل ما يفعله البطل أنه يبقى مستغربا من جهاز العدالة ومن تصرف الشرطة على مواطنين بسطاء من أمثاله.

يأخذ وصف السجن مكانا كبيرا في هذه الرواية التي تقع في 173 صفحة والمقسمة إلى جزعين بعنوانين مختلفين، الأول "سحابة زرقاء في سماء أكتوبر" ويحكي فيها عن رحلة البداية ويقف على ما يحدث له في مركز الشرطة، ولقاءه مع سجناء آخرين بتهم مختلفة، وذكرياته القديمة عن والده الذي لم يعرفه جيدا لكنه يتذكر جيدا ضربه المستمر لوالدته.

أما القسم الثاني وعنوانه "الغريب يقطف نقاعة من الجحيم" فيغوص في تجربة السجن من الداخل، من خلال الوصف الدقيق لأحد السجون المعروفة في الجزائر ألا وهو "سجن الحراش" بالحالة المتعفنة داخل كل زنزانة، والإدارة التي تترك للمجرمين القدامى الحرية في تسييره على طريقتهم الخاصة، بالعنف على الأجساد والأرواح.

صحيح أن رواية سمير قسيمي تنتهي بالإفراج عن البطل في النهاية، وخروجه مكسورا من تلك التجربة العنيفة التي وقعت له، وأكثر تعطشا للحياة والحب والأمل، هي رواية رمزية عن الإنسان الذي يسجن في هذه الحياة من دون معرفة السبب، ورواية تصريح بضياع فهي على رغم إنبائها على خرافة المرأة العجوز التي عاشها مجسدة لحظة بلحظة، إلا أنها أرادت أن تكون واقعية في التعبير عن عالم العنف المتعدد الأوجه والأبعاد، وعن طبيعة الواقع القاسي في جزائر قاسية للغاية، رواية تجمع بين الأسى والفرح، رواية محكمة البناء، وعلى قدر كبير من التشويق والمتعة على الرغم من جانبها المأسوي، ورؤيتها السوداء للعالم.

## **2: دلالة المكان في رواية تصريح بضياع:**

يمكن إيراد بعض الأماكن التي قصدها البطل في الرواية من خلال الجدول الآتي:

الجدول رقم (01): الأماكن التي قصدها البطل في الرواية

الصفحة	القول	المكان
11	- دخلنا المحافظة المتواجدة بأسفل عمارة.	- المحافظة السادسة للشرطة
27	- كانت الغرفة مترين على مترين.	- الغرفة
31	- وهي قاعة لا تزيد عن ستة أمتار مربعة	- صالة الفحص
32	- الكافينياك محافظة شرطة أخرى تقع في شارع الأرجنتين	- الكافينياك
64	- وما هي إلا دقائق حتى بلغنا محكمة سيدي محمد	- محكمة سيدي محمد
68	- كنا نقرب من الظهيرة حين بلغنا محكمة الحراش	- محكمة الحراش
76	- بلغنا سجن الحراش	- سجن الحراش
79	- خرجت إلى الردهة	- الردهة
91	- أرشدني أحدهم إلى مكان في وادي شايح يدعى الكاريار	- الكاريار
92	- هذه المرة في إتجاه القليعة إلى مكان يدعى دوار بن يمينة.	- القليعة
108	- في إحدى قاعات العبور تلك تعرفت على فوزي	- قاعات العبور
113	- الطريق المؤدي إلى ساحات الفسحة يمر ببناية فيها مكتبة صغيرة.	- المكتبة
114	- يقع محل المواد الغذائية المعروف بإسم الكانتিকা.	- محل المواد الغذائية
119	- دخلت قاعة الجلسات مع سبعة آخرين.	- قاعات الجلسات
123	- كانت الساعة السادسة حين دخلت قاعة السجن	- قاعة السجن
133	- حين كنت أقضي عطلي الصيفية في منزل خالي سيدي أحمد بن يونس.	- منزل الخال

133	- كنت جالسا في الحوش.	-الحوش
136	بنى بقية عصابته مساكن قصديرية يقيمون فيها كانت نواة ما يعرف اليوم بحي الجزيرة.	- في الجزيرة
138	- إلا أنه حين بلغ المغسل وجد الشاف كورفي يقف عند عتبه.	- المغسل
140	-فقصدت محطة آغا وهناك لمحتها	- محطة آغا
148	-كنت في الساحة حين قام أحدهم بالمناداة علي	-الساحة.

يمثل هذا الجدول أبرز الأماكن التي وردت في الرواية وأهمها السجن و الزنزانه وغيرها، ولكل واحد منها معنى ودلالة يرمي إليها و له أثر على شخصية البطل كونه هو من قصد هذه الأماكن.

## 2-1 دلالة السجن:

لقد كان السجن ولا يزال مادة خصبة للعديد من الأقلام الأدبية، خصوصا الروائية منها، وهو أكثر مكان حظي بحضور قوي في روايتنا، سواء في جانبه المادي أو المعنوي، هو رمز للقهر، "وهو مكان يقوم بوظيفة تقييد الشخصيات وقهر حرياتهم، ومنعهم من ممارسة أي نشاط يرغبون به ماعدا المسموح به داخل السجن، لكنه يساعد على فتح أبواب الذاكرة، ويمسح خيوط الأمل المترجى، لأن الشخصية فيه غالبا ما تدخل مع ذاتها في حوار وجدل طويل"<sup>1</sup>.

والتأمل في عالم السجن بوصفه عالما مفارقا لعالم الحرية خارج الأسوار، قد شكل مادة خصبة للروائيين كما سبق وذكرنا في التحليل وإصدار الإنطباعات التي تفيدنا في فهم الوظيفة الدلالية التي ينهض بها السجن كفضاء روائي معد لإقامة الشخصيات خلال فترة معلومة في إقامة جبرية، غير إختيارية في شروط عقابية صارمة، " ويشكل السجن بهذا المعنى نقطة إنتقال من الخارج إلى الداخل، ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل، بما

<sup>1</sup> جماليات المكان في الرواية العربية، 55.

يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات وإثقال لكاهله بالإلزامات والمحظورات، فما إن تطأ أقدام النزول عتبة السجن مخلفا وراءه عالم الحرية حتى تبدأ سلسلة العذاب التي لن تنتهي سوى بالإفراج عنه<sup>1</sup>، وأحيانا فإن آثارها تظل ملازمة له لمدة طويلة وراسخة في ذهنه، "الآن وأنا أستذكر تلك الليلة، أجدني أتذكرها كأنها البارحة، أتذكر كل التفاصيل، تفاصيل قد تبدو تافهة إلا أنها علفت في رأسي كما يعلق النقش في صخرة جبلية للأبد"<sup>2</sup>.

وهكذا يتم تجريد السجن من أبسط ممتلكاته الشخصية، "فيسأله الحارس عن هويته ثم يأمره بتسليمه كل ما يحمل في جيبه، بالإضافة إلى حزام السروال والهاتف النقال إن وجد، وكذا أربطة الحذاء والخواتم وغيرها من المنقولات"<sup>3</sup>.

وهذا المدخل ليس سوى تمهيد للإجهاد على مقوماته الذاتية وصفاته الإنسانية التي سيعمل السجن على سلبها في المراحل المتبقية، وهي كثيرة، "قررت ساعتها أن أتناسى كرامتي، إنسانيتي وحتى مبادئتي التي أدخلتني هذا المكان"<sup>4</sup>، "الآن أصبحت الرجل مرادفا للحقرة، الحيوانية وربما أحيانا الذكورة لا غير"<sup>5</sup>، "ليس لأمثالك أن يطلبوا شيئا"<sup>6</sup>، وتنتج هذه السلسلة من الإجراءات الإذالية التي تعقب الدخول مباشرة بتجريد النزول من هويته الخاصة عن طريق إنتزاع إسمه الشخصي وإستبداله برقم يجعله مجرد نكرة وهي من ضمن قوانين السجن، "إلا أنهم هذه المرة منحوني رقما، قال الذي أعطاني إياه: هذا إسمك الآن، ثم أعادني إلى الغرفة الضيقة، كان رقما من ستة أعداد (157324)"<sup>7</sup>، والغاية الجوهرية التي تكمن وراء هذه الممارسات العقابية التي يخضع لها النزول من تجاهل للإسم الشخصي وإستبدال ملابسه ببذلة سجنية موحدة وإنتزاع ممتلكاته الشخصية، إنما هي العمل على تجريده من خصوصيته التي تميزه عن المجموع وتجاهل هويته بحيث يفقد كل عناصر

1 جماليات المكان في الرواية العربية 56.  
 2 سمير قسيبي، تصريح بضياح، ص34.  
 3 سمير قسيبي، تصريح بضياح، ص34.  
 4 المصدر نفسه، ص19.  
 5 المصدر نفسه، ص20.  
 6 المصدر نفسه، ص24.  
 7 نفسه، ص80.

الإختلاف والتفرد ويتحول إلى مجرد نسخة مكررة تندمج ضمن مكونات الأماكن المغلقة لعالم السجن، "وبإختزال النزول إلى مجرد رقم عددي، تكون عملية إفناء الهوية الذاتية قد إتخذت مسارها الثابت وإستقرت على مدارها الطبيعي، وفي الحقيقة فإن انتزاع الإسم الشخصي أو إلغائه ليس من دون دلالة بعيدة، بل إنها رغبة عدوانية في نسف الذات الشخصية للنزول والإنتقال به إلى درجة من الدناءة"<sup>1</sup>.

ولعل أبرز رموز السجن بإعتباره مكانا للإقامة الجبرية شديد الإنغلاق هي تلك البوابات الضخمة ذات الصوت المزعج التي تحجب العالم الرحب وتكون الحد الفاصل فيما بين الداخل والخارج، ولذلك كان لصوت البوابات لدى النزلاء مدلول خاص، "إبتسمت له وفعل مثلي وهو يغلق البوابة الضخمة حتى إختفى خلفها، وصريرها لا يزال في أذني وأنا أسألني ببراءة: أهكذا يكون صوت الحرية"<sup>2</sup>، والسجن بهذا المعنى يكف عن كونه مكانا ذا أبعاد ومقاسات تميز إنغلاقه ومحدوديته، وسيتحول إلى مكان مخصوص ينهض على أنقاض العالم الخارجي المألوف، ومن هنا مبعث تلك التغيرات التي يفرضها السجن على سلوك نزلائه ولا على نمط حياتهم حين يخضعهم لقانونه الخاص.

## 2-2 دلالة الزنزلة:

ليس السجن مكان إنتقال وحركة بحرية، وإنما " هو بالتأكيد مكان إقامة وثبات، وفضلا عن ذلك فإن الإقامة في السجن خلافا لما سواها، هي إقامة جبرية لا يد للنزول في تحديد مدتها أو مكانها"<sup>3</sup>، يضاف إلى ذلك إتصاف السجن بالضيق والمحدودية، وهما صفتان قد لا لا تعرفهما أماكن الإقامة الإعتيادية كالبيوت والمنازل، ولذلك كان من الطبيعي أن تتعكس محدودية المكان في السجن على حركة النزول وتقلص من قدرته على الإنتقال داخل مكان محدود ضمن أسواره وأسلاكه وذلك لأن المكان لا يكون سوى إنعكاس أي نتيجة للتجربة أو محاولة التأثير على العالم، ويبدو نظام السجن لأول وهلة عادلا بشكل لا يصدق حين يقيم

<sup>1</sup> عبد اللطيف اللعبي، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط2 1983 .61

<sup>2</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياح 106.

<sup>3</sup> جماليات المكان في الرواية العربية 66.

قوانينه الخاصة فيجعل المرافق العادية لعموم السجناء ويخصص الزنازن للمذنبين منهم، "ومن هنا تكتسي الزنزانة طابع المفارقة داخل السجن الضيق والمغلق أصلاً"<sup>1</sup>.

وتحمل لنا بعض النصوص المدروسة تفصيلات عينة دقيقة عن فضاء الزنزانة تلتقط فيها مختلف مظاهر العقاب المضاعف الذي تفرضه على نزلائها، بحيث يتجدد لدينا الإعتقاد في عدل السجن الجاري العمل به، وتسعفنا رواية "تصريح بضياع" بنموذج وصفي يعرض لهذا المكان الإستثنائي بعضاً من إحدائياته، "وكم كانت رغبتني عظيمة في الإنفصال عن واقع زنزانة الخمسة أمتار تلك"<sup>2</sup>، ويقول البطل أيضاً في روايتنا واصفاً القاعة: " كانت القاعة بطول عشرين متراً، ثقل أو تزيد قليلاً، تنتهي بحائط لا يزيد إرتفاعه عن المتر، يفصل بين القاعة والمغسل الظاهر للعيان المكون من حوضين كبيرين يرتفعان عن الأرض بأعمدة حديدية مطلية بطلاء جبيري أبيض... في حين كانت أرضية القاعة من الإسمنت الخالص، يعلوها سقف إستقر دون أعمدة، أما مصدر القاعة من الهواء، فكان نافذتين تقعان على أعلى جدران القاعة"<sup>3</sup>، و"تبقى الزنزانة في الحقيقة عند مقارنتها بالمرافق السجنية الأخرى وكأنها تختزل جميع القيم والدلالات التي ينهض عليها السجن كمكان مغلق معد للإقامة الجبرية"<sup>4</sup>، وبهذا ستكون الزنزانة مسرحاً تتحقق فيه مختلف مظاهر الإضطهاد والإلزام والمصادرة على شخصية النزير، ولن تعود الإقامة الجبرية في ذاتها بالنسبة إليه سوى مظهر عقابي ثانوي وظل هزيل يمكن تجاهله أو حتى الإستئناس به في أية لحظة.

يقول: "كنت متعباً إلى درجة الإغماء، والصداع يزحف بروية داخل رأسي، يمنعني من النوم ومن اليقظة، ورغم أن جفناي كانا قد حجبا النور عن عيني، إلا أنني لم أستطع ولوج العتمة لأستريح"<sup>5</sup>، فوصف الزنزانة بالقدم والرطوبة يوحي بقبرية الزنزانة مما يعمق القسوة والعذاب والمعاناة.

1 جماليات المكان في الرواية العربية 67.

2 سمير قسيمي، تصريح بضياع، 46.

3 المصدر نفسه، ص82.

4 جماليات المكان في الرواية العربية 70.

5 سمير قسيمي، تصريح بضياع 96.

**2-3: دلالة الساحة:**

في أفق هذا القانون السجني المغلق ستبدو فترة الإستراحة أو الفسحة كواحة في الصحراء لا حد لها، لأنها بالنسبة للسجناء ستشكل إستثناء أو خرقاً لقاعدة سجنية صارمة، فالساعات القليلة التي يقضيها السجين في ساحة السجن ستتحول إلى متعة حقيقية تخلخل الرتابة اليومية التي يغرق فيها السجن بوصفه مكاناً للعزلة عن الممارسة البشرية العادية.

نقرأ في تصريح بضياح: "أما نزلاء القسمين الآخرين، فيسمح لهم بالفسحة مرتين في اليوم، واحدة في الصباح ومرة أخرى بعد الظهر، وتدوم كل فسحة بين الساعتين والأربع ساعات بحسب الظروف وطول النهار"<sup>1</sup>، ومن المؤكد أن مكان الفسحة يقع داخل مكان السجن بحيث يظل خاضعاً لإلزاماته ومحظوراته، يقول بطل روايتنا: "الخروج إلى الساحة من الإجراءات المتبعة في كل السجون، ولكنها تختلف بحسب طبيعة المسجونين"<sup>2</sup>، ولكن ثمة تحول مهم يقضي بجعل فضاء الفسحة بمثابة النقيض الطبيعي لفضاء الزنزانة، فإذا كانت الغاية من وجود الزنزانة هي تفريغ ذهن النزير من كل ما له صلة بالحرية المفقودة، وإرتياد العالم الرحب، فإن مكان الفسحة عكس ذلك تماماً، وفي الظاهر فإن ساحة الفسحة ستكون المكان الملائم الذي يستعيد فيه السجين بعض صفاته الإنسانية التي عمل السجن على إذابتها والقضاء عليها، ففي الساحة بمقدوره أن يمشي أو يدور أو أن يتأمل المكان الطبيعي المحظور عليه، "لمحت عمي أحمد السوري يسير مع بعض الشباب دون أن يحدثهم أو يحدثونه، وكان آخرون يفعلون مثلهم، كانوا يدورون حول الساحة دون توقف أو ملل، في البداية إستغربت من أمرهم ولكنني فهمت مع مرور الأيام أنها رياضة مشي إخترعها المسجونون حفاظاً على بعض لياقتهم"<sup>3</sup>، وهكذا ينجح السجين أثناء فترة الإستراحة في إختراق الحواجز وتخطي الحصار المقام حوله ليتطلع إلى السماء متأملاً في ذلك المكان الطبيعي الذي ظل يفتقده آناء الليل وأطراف النهار.

<sup>1</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 116.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 112-113.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 115.

## 2-4: دلالة البارلوار:

البارلوار " هي كلمة فرنسية parloir، ومعناها المكان المخصص للكلام أو قاعة الإستقبال"<sup>1</sup>، فقد كشف لنا إستقراء تنظيم المكان السجني في روايتنا عن وجود مراتب متباينة داخل السجن مقسمة بحسب إنغلاقها وصرامة حدودها، وتقع الزنزانة في أسفلها، وأما الفسحة وهي نقيض الزنزانة فستكون في قائمة الترتيب بفضل إنفتاحها فهي تتيح للسجين الإتصال مع العالم الخارجي ولكن مكان الزيارة سيبقى من دون شك المركز الهام في ذلك الترتيب لأنه سيشهد لقاء السجين بالعنصر الإنساني متمثلا في زواره وما يحملونه من أخبار وما يمدونه به من أنباء عن العالم الخارجي، ويتخذ البارلوار سبيلا للتعبير عن دلالة السجن المنفتح نسبيا على العالم الخارجي، ومن ثم سيكتسي أهمية بالغة لأنه سيكون مجالا للإتصال وتبادل الحديث وإستقبال الأنباء من الخارج (خارج السجن)، " وجدت أُمي وآمال متلهفتان للحديث معي"<sup>2</sup>، ومنه فإذا كانت الفسحة بالنسبة للسجين مجالا للتأمل في المكان الطبيعي وأخذ بعض الحرية بغض النظر عن محدودية ذلك المكان، فإن فضاء البارلوار سيكون المكان المناسب لإقامة الإتصال بالعالم الخارجي ممثلا في العنصر الإنساني الوافد، ولعله لهذا السبب يكون تعلق السجين بفترة الزيارة أقوى من إنتظاره لفترات الفسحة، مما يدلنا على أن حاجته إلى المجال الإنساني تفوق رغبته في التطلع للمجال الطبيعي، وفيه سيستعيد السجين بعض صفاته الإنسانية المفقودة وعلى رأسها إمكانية الحوار مع الآخر الموجود خارج الأسوار في عالم الحرية، يقول البطل: " في الأخير فعلت ما أوصاني به عمي أحمد، قلت لهما أنني بخير، وأن محامي وصديقتي القانونية يقولان أنني سأقضي ليلة الغد خارجا"<sup>3</sup>. و" تسعى النصوص الروائية إلى إعطاء دلالة تعبيرية خاصة لهذا المكان، وذلك حين تجعله مصدرا للإمتلاء العاطفي الذي سيثد السجين إلى عالم الأحرار، ويحفزه على إعادة إنتاج ذاته وعلاقاته ضمن الحدود التي تسمح بها جدلية الداخل والخارج، والتي تنظم

<sup>1</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 151.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 151.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص152.

الفضاء السجني وتضبط العلاقات بين سجنائه، فمكان الزيارة يصبح دائماً شعور بالألفة  
يغمر السجين".<sup>1</sup>

## 2-5: دلالة الشارع:

يندمج الشارع ضمن الأمكنة المفتوحة التي يمكن تسميتها بالعامّة، وهذا لأن الجميع  
يشارك فيها، ولذا لا يقف المكان كمكان هندسي عند الراوي أو الشخصية يصف تفاصيله  
وأجزائه بل يقدمه من منظور نفسي متأثراً به، فالراوي في رواية "تصريح بضياح" رغم أنه  
يتحرك في شوارع العاصمة إلا أنه لا يمر إلا في الأزقة الضيقة، يقول "ولكنني كنت أعتقد  
أن الجمع بين رجل ثوري كديوش مراد وسفاح كفرنالدي ميسوني ولو في المسير جريمة في  
حق الأول وانتصار في حق الثاني، كنت مؤمناً بهذا دون أن أبحث حقيقة في اسم ميسوني  
الذي سمي به الشارع، فقد قررت أن ميسوني هذا لا بد وأن يكون السفاح فرنالدي ميسوني،  
الذي لقبته صحافة بلاده بجلاد الجزائر، كان رجلاً سادياً".<sup>2</sup>

فقد اختزل لنا الشارع في كلمة واحدة ذات دلالات نفسية أو في عبارة موجزة تنقله في  
مستوى الرمز.

ويخبرنا الملفوظ عن الصورة الاجتماعية والثقافية إستناداً إلى أسماء الشوارع بالعاصمة  
التي إتخذت أسماء لسفاحي فرنسا وهنا تدل على بقاء آثار الإستعمار في الجزائر حتى في  
وقتنا هذا، أضف إلى ذلك أحد المحافظات وهي محافظة الكافينياك، وهي أقدم المحافظات  
العاصمة، أخذت إسمها من سفاح فرنسي يعرف بالجنرال كافينياك، وهو واحد من أكثر  
الجنرالات الفرنسيين دموية وشهرة في تاريخ الجزائر<sup>3</sup>، وقد تكررت صورة الشارع المزرية في  
أحد مقتطفات الرواية لتؤكد العنف الإجتماعي الواقع على المكان الذي يؤدي إلى قهر  
الإنسان والخوف وزرع الرعب في النفوس، يقول البطل، "فدخلنا المحافظة التي كانت تقع  
في أحد أزقة شارع الأرجنتين، تقابل عمارة مدنية مسخرة للسكن، وكان أسفلها ثلاثة محلات

<sup>1</sup> جماليات المكان في الرواية العربية، 60.

<sup>2</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 08.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص32.

لم تزل مفتوحة...، أما الطريق الفاصلة بين المحافظة وهذه المحلات فقد كانت مملوءة بالممهلات الإصطناعية غير الثابتة وضعت هناك لمنع السيارات من إستعمال الطريق، وهو علامة عن حالة لا أمن إنتشرت في الجزائر العاصمة بعد موجة من التفجيرات التي عرفتها"<sup>1</sup>.

تقوم هذه الكلمات (أزقة، مسخرة، منع، تفجيرات) بالدلالة على القهر الإجتماعي الذي يعانيه الإنسان من خلال إهمال حاجاته الضرورية وكان هذا من خلال وصف الشارع لأن "النص الأدبي نظام إشاري دال، وهو بناء لغوي واللغة فيه متكلمة عن ذاتها، ومتكلمة عن الأشياء خارجها وفق الصورة التي بها الأشياء"<sup>2</sup>.

## 2-6 دلالة المخفر:

قام الراوي بإبراز لحظات القمع التي يمارسها رجال الشرطة في وسط ديكور هندسي " إذ تحتل الأشياء الموصوفة أهمية بالغة في بناء الفضاء الجغرافي، فبالإضافة إلى وظيفتها الجمالية فلها أيضا وظيفة الكشف عن الوضع النفسي للشخصيات التي تتعامل معها، وعن الوضع الإجتماعي والثقافي الذي تجري فيه الرواية"<sup>3</sup>.

وتم الإعتقال بطريقة مهينة كان فيها البطل مرميا على الأرض، يقول: "وعوض أن يشرح لي الأمر، ركني بقدمه فسقطت أرضا"<sup>4</sup>، كلمة ركني إن دلت تدل على المهانة والإذلال، بالإضافة إلى الحالة التي أصبح عليها بعدما كان حرا فقد أصبح مقيدا ومكبلا ومعرضا لكل أنواع الإهانة الجسدية واللفظية، وهذا يدل على صورة طغيان السلطة وعنفها، حيث تنتوع أساليب القهر، يقول البطل: "ماهي إلا لحظات حتى قدم شرطي مكرش، وضربه على قفاه أما إياه أن يسكت، بلع ولا تعرف واش نديرك"<sup>5</sup>.

" بلعوا (أصمتوا) يا كلاب، عاودني حينها شعور بالإهانة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 33.

<sup>2</sup> حسان الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، آفاق الإبداع ومرجعياته في عصر المعلوماتية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 2001 79.

<sup>3</sup> يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، 1999 99.

<sup>4</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 17.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص20.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص21.

" شرطي مكرش، لا شيء يستهويه أكثر من الألفاظ البذيئة" <sup>1</sup>.

### 3: المكان والشخصية:

من بين الشخصيات المذكورة في الرواية، " البطل الذي لم يذكر إسمه، آمال زوجة البطل، المرأة العجوز، إخوة البطل ( حمامة، بوعلام، ابراهيم، سناء، مناد، تسعديت، أم السعد، وردية)، اسماعيل صديق البطل المقرب، عفاف زوجة اسماعيل، القاضي السوفي، فوزي صديق البطل، ابراهيم باديبا، قاديرو، الشرطي المكرش، وعمي أحمد الصوري" <sup>2</sup>، هذا المسجون المدان بتهمة قتل إبنته يقف علامة إستفهام كبيرة عند الصفحات الأخيرة من الرواية، هل هو والد البطل الذي سرد لنا الراوي أنه توفي؟ هل والد البطل ذلك العرييد الخشين لم يمت بل ظل طول حياته في السجن بتهمة القتل إلى أن تشاء الصدفة ويلتقي به البطل؟ .

يعد المكان من العناصر المهمة في بناء الشخصية الروائية، والمكان بما يحتويه من أبنية وغيرها ينعكس على سلوك الشخصيات في الرواية، وهذا ما ذكرناه سابقا في الجانب النظري لبحثنا، وبما أن أحداث الرواية جرت داخل السجن، فإن " إستحالة مغادرة السجناء لعالم الإقامة الجبرية بحسب الرغبة، سيولد لديهم شعورا بالعجز التام أمام غياب كل إمكانية لإختراق هذا المكان الموصد، مما سيجعل مواقفهم تبريرية كثيرا أو قليلا، وسينعكس كل ذلك الشعور على معنوياتهم وقدرتهم على المواجهة" <sup>3</sup>، فنجد الواحد منهم يعاني من العزلة والإحساس بالذنب فضلا عن إفتقاد الحرية، يقول: " يا إلهي ما الذي إقترفته حتى تجزيني بعدالتهم؟ حتى تعاقبني بعدلهم؟ ... الأأنني لم أقم صلاة قط، أم لأنني لم أصم يوما؟ ... " <sup>4</sup>، ويقول أيضا: " شعرت برغبة في البكاء، إذ كيف إنتهت إلى هكذا حال" <sup>5</sup>، وفي الحق، فإننا لا نعثر على هذا الشعور أو شبيهه به لدى فئة النزلاء السياسيين أي أولئك المعتقلين في

<sup>1</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياح، 23.

<sup>2</sup> المصدر نفسه 1-173.

<sup>3</sup> جماليات المكان في الرواية العربية، 61.

<sup>4</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياح، 65.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص65.

قضايا سياسية أو وطنية، لأن هؤلاء يكونون في العادة من الوعي وصلابة الإرادة، بحيث يحولون فترة إقامتهم في السجن إلى فرصة للإتصال والإحتكاك وإستكمال التجربة النضالية، وإنما نلمس هذا الإحساس القاهر بالعجز في الغالب لدى سجناء الحق العام الذين تكون الجرائم والمغامرات هي التي ساقنتهم إلى السجون لقضاء مدة عقوبة قد تطول أو تقصر، وقدم لنا سمير قسيبي هذا النص الروائي الذي "يحمل ملامح هذا الموقف العاجز واليائس لدى هذه الطائفة من السجناء الذين يعانون من إنغلاق الفضاء السجني أكثر من غيرهم لما يغمرهم فيه من شعور بالمهانة والعزلة"<sup>1</sup>، شعور أقل ما يقال عنه أنه حزين، كئيب، مؤلم، متعب، "أظنني لحظتها إستسلمت، لم يعد بمقدوري أن أقاوم أكثر، إكتفيت بالمشاهدة، وكأنني أشاهد فيلما لا يعنيني منه غير المشاهدة"<sup>2</sup>.

" كنت أراقب المسجونين وهو يتدافعون في طابورهم، يغرفون من الصفيحة بأيديهم المجردة، ثم يملؤون خبزهم بالأرز المعجن وهم بيتسمون، ثم ما لبثوا أن تفرقوا جماعات وفرادى، لقد كانوا سعداء بما منحتهم يد العدالة من إذلال، حمدوا الله على طعام لا تأكله حتى الكلاب، على خبز مطاطي تعافه حتى الخنازير البرية"<sup>3</sup>، وقال أيضا في إحدى إعتراقاته بمعاناة السجن: " قبل مغادرة باديبا القاعة، أصيب بإمساك شديد، وهو مرض عادة ما يصاب به المساجين الجدد بسبب تغير عاداتهم الغذائية، وكذلك بسبب الإحباط النفسي الذي يصيبهم إلى حين تعودهم على حياة الأبواب المغلقة"<sup>4</sup>.

بهذه الطريقة إذا يجري تثبيت العجز الناجم لدى السجناء، عن طريق تحطيم معنوياتهم ويصبح السجن بؤرة للعجز قاهرة تترى بالشخصيات المسجونة لتضاعف من معاناتها ماديا ومعنويا، " رأسي يؤلمني، صداع رهيب تملك نصف جمجمتي، بالكاد استطعت فتح عيني وكأن جفني يحملان ثقلا جديدا"<sup>5</sup>، ويزيد التضيق على حركة الشخصية عندما تكون

<sup>1</sup> حميد الحمداني، دهاليز الحبس القديم، مطبعة فكيك، بيروت، ط1 1979 16.

<sup>2</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 83.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 101.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 137.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 96.

نزيلة زنزانة إنفرادية متناهية الضيق، وسيئة التهوية مما يجعل قدرتها على الانتقال تختزل إلى الصفر، ويقدم لنا قسيمي في "تصريح بضياح" مثالا عن صديقه فوزي الذي عزل في زنزانة لوحده، "إلا أن فوزي سرعان ما طلب نقله من جديد حين أكتشف أنها قاعة لا تدخلها الشمس إلا لتخرج منها، إذ كانت تقع أسفل مبنى من ثلاثة طوابق، تحاصره بنايتان شرقا وغربا، فكانت قاعة كثيرة الرطوبة لا تصلح لمن كان يعاني الربو مثل فوزي، الذي كاد يموت في أول ليلة"<sup>1</sup>.

#### 4: أسلوب السرد والوصف في الرواية:

تسرد رواية تصريح بضياح لمؤلفها سمير قسيمي تفاصيل ومواقف وأحداث داخل سجن الحراش، وتتنوع ساحات وقوع الأحداث في الرواية بين ساحة السجن والزنزانة ومكان الزيارة، على الرغم من وجودها داخل مكان واحد ألا وهو السجن، ونجد سمير قسيمي مع تلك المحطات يواصل الوصف والتعبير بلغة بسيطة وراقية، تميزها سلاسة الألفاظ وعذوبتها، ونلاحظ في الرواية أن الكاتب تعمد في سرده إلى وصف دقيق لبعض الأشياء يظنها البعض تافهة، لكن حجم المعاناة التي مر بها البطل جعلته يتذكر أبسط الأمور بالتفصيل، فوصف لنا كل ما لمحتة عينه داخل الفضاء الموحش.

#### 4-1: وصف الشخصيات:

وصف لنا البطل رؤيته لأحد الشباب داخل محافظة الشرطة قائلا: "أحدهما كان في منتصف العقد الثالث...، كان يرتدي بذلة رياضية بيضاء من النوع الرخيص، وحذاء ترينينغ من قماش بنفس اللون، يضع خاتما فضيا يزينه حجر أسود في بنصره الأيسر، وسلسلة يد مذهبة بمعصمه الأيمن"<sup>2</sup>، ووصف لنا أيضا أحد الرجال الذين صادفهم في السجن في أول أيامه قائلا: "أحدهما بدا في الستين من العمر، مكنتز الجسم، يرتدي جلابة محلية فضفاضة، بفتحة مثلثة تبلغ الصدر، تحتها قميص أبيض من القطن وسروال من نفس اللون

<sup>1</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياح 124.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 16.

والمادة، كان يضع على رأسه قلنسوة بيضاء هي الأخرى، تزينها نجمة حماسية زرقاء<sup>1</sup>.  
كذلك وصف لنا المرأة السمراء التي لمحها داخل المحافظة السادسة للشرطة، يقول  
البطل: "متوسطة الطول، شعر أسود فحمي قصير، لا يتجاوز شحمة أذنيها، وضب بشكل  
يوحي بأنه سرح للتو، ترتدي بذلة رمادية بقميص حريري أبيض، كانت صارخة الأنوثة رغم  
ما يستعرضه جسدها من نحول"<sup>2</sup>.

ومن جهة شرع في وصف الوكيل في محكمة الحراش قائلاً: "كان في منتصف العقد  
الثالث، لا يتعدى طوله المتر والسبعين، ممتليء الجسم إلى درجة السمنة، وجهه مستدير  
أحمر مرقط، يكاد يكون أبرصاً لولا بعض الفروق"<sup>3</sup>.

كانت هذه بعض الشخصيات التي قام البطل بوصفها وهو داخل السجن.

#### 4-2: وصف الأمكنة:

مثلاً أخذت الشخصيات نصيبها من الوصف في أغلب صفحات الرواية، كذلك الأمكنة  
فقد أخذت حظاً وافراً، فوصف لنا البطل العديد والعديد من الأمكنة التي مر بها، سنحاول  
ذكر البعض منها:

- "دخلنا المحافظة المتواجدة بأسفل عمارة تقع في أحد أزقة ديدوش مراد"<sup>4</sup>، كما وصف لنا  
الغرفة التي تقع داخل المحافظة قائلاً: "كانت الغرفة مترين على مترين، في نهايتها مكتب  
حديدي وكرسيان، واحد للمكتب والآخر للمستجوبين، عليه آلة رقن حديدية، كتلك التي  
إعتدنا مشاهدتها في أفلام الأبيض والأسود، في حين كان لون الجدار خافتاً...، يتوسط  
السقف مصباح يبصق نوراً باهتاً آيلاً للإنطفاء"<sup>5</sup>.

من جهة أخرى وصف لنا صالة الفحص: "وهي قاعة لا تزيد عن ستة أمتار مربعة،  
تكاد تخلو من كل أثاث، بإستثناء مكتب خشبي وكرسي طبي من النوع الذي يطوى ويفتح،

<sup>1</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 37.

<sup>2</sup> المصدر نفسه 39.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 74.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 11.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 27.

عليه ملاءات خضراء تفوح منها رائحة الكحول، وجعلت فوق بعضها لتكون ما يشبه الفراش<sup>1</sup>.

قام البطل بوصف محافظة الكافينياك قائلاً: "دخلنا المحافظة التي كانت تقع في أحد أزقة الأرجنتين، تقابل عمارة مدنية مسخرة للسكن، وكان أسفلها ثلاثة محلات لم تزل مفتوحة، مطعم، محل تبغ، ومحل هاتف عمومي"<sup>2</sup>.

ومن بين الأماكن التي رسخت في ذهن البطل هي محكمة الحراش، حيث قال: "تتقسم محكمة الحراش إلى ثلاثة أقسام، قسم يقابل مجعاً سكنياً يعرف بإسم الأشلام، وهو مجموعة من العمارات تم بناؤها في الحقبة الإستعمارية، تتميز بمداخلها المتعددة وإرتفاعها مقارنة بما تم بناؤه لاحقاً من عمارات، يحوي شبابيك توفر بعض الخدمات الإدارية للمواطنين... وبمحاذاته رواق ينتهي بسلم يسمح بولوج الطوابق العلوية"<sup>3</sup>.

ويعد السجن من داخله أول مكان إحتل الصدارة في قائمة الوصف في كل صفحات الرواية، حيث وصفه البطل بالتفصيل سواء من داخله أو خارجه قائلاً: "بجانب البوابة الرئيسية الزرقاء، مدرعة زرقاء مركونة على اليسار، يقف أمامها شرطيان يرتديان صدريتين واقيتين من الرصاص... على بعد مترين منهما سيارة شرطة رباعية الدفع، من نوع تويوتا... بجوارها باب حديدي من الحجم العادي"<sup>4</sup>.

كذلك وصف لنا إحدى قاعات السجن التي قضى فيها أيامه قائلاً: "كانت القاعة بطول عشرين متراً، ثقل أو تزيد قليلاً، تنتهي بحائط لا يزيد إرتفاعه عن المتر، يفصل بين القاعة والمغسل الظاهر للعيان المكون من حوضين كبيرين يرتفعان عن الأرض بأعمدة حديدية مطلية بطلاء جيرى أبيض، على طرفي كل حوض قمرتان هيئتا كمراحيض، بأبواب خشبية نصفية ترتفع بأربعين سنتيمتراً عن الأرض وقد جعل مدخل المغسل سلماً إسمنتياً من درجتين

<sup>1</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياح 31.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص31.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 69.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص76.

عريضتين، في حين كانت أرضية القاعة من الإسمنت الخالص بعرض ستة أمتار على الأرجح، يعلوها سقف إستقر دون أعمدة على علو ثمانية أمتار<sup>1</sup>.

تفاصيل صغيرة تافهة في حاضرتنا لكنها مهمة في المستقبل كأنها تتعمد التواضع في رحلة تعلم أن نهايتها لصالحها بالضرورة، ففي نهاية المطاف تصبح التفاصيل التافهة آخر ما يعلق بالذاكرة، هذا ما قاله بطل الرواية لأن السجن بالنسبة له ذكرى رسخت في رأسه كما يعلق النقش في صخرة جبلية للأبد، وبهذا نستنتج أن الكاتب قد أولى وصف الأماكن في هذه الرواية أهمية خاصة بالوصف التفصيلي للمكان، حيث تقلصت الرؤية، وسعت إلى الإقتراب أكثر من واقع المكان ومن أدق تفاصيله.

#### 4-3: وصف البيت:

إذا كان البيت في الواقع ملجأ للراحة والأمن والإطمئنان، فإنه كان كذلك وإلى حقبة طويلة في النص الروائي، فقد حافظ الروائيون على صورته الرومنسية الآمنة الهادئة والبريئة كمكان يحتضن ذكريات ساكنيه، فهو يمثل رمزا لكل ما هو جميل، وقد أولت الرواية الجزائرية أهمية كبرى للبيت كعنصر جمالي، وحيز مؤطر للشخصية فهو المكان الأخير التي تنتهي به الشخصية يومها لترتاح فيه، لكن مع إضطراب الواقع واندلاع الفجائع التي ألمت بالمكان والإنسان الجزائري، تغيرت الرؤية لهذا الحيز الهندسي الذي كان رمز الأمان ليصبح مدلول البيت إلى ضده ومن خلال قراءتنا للرواية لم نعثر على مقاطع وصفية تعني بالتفاصيل الدقيقة للبيت المشار إليه، فحين تحدث البطل عن بيتهم قال: " كنا نعيش في شقة من غرفتين في نهج عيسات إيدير بميسوني، شقيقتي وأمي وبما عيشة في غرفة، وأنا وإخوتي الثلاثة وأبي في غرفة أخرى"<sup>2</sup>، وتم التحدث عن هذا البيت من خلال عملية الإسترجاع لذكريات البيت الذي عاش فيه طفولة مروعة فضلا عن العلاقة التي تربطه بوالديه، يقول: "إلا أنني ضبطت مشاعر الخوف تلك، مثلما كنت أفعل في طفولتي، وأنا أشاهد أبي يضرب أمي ضربا مبرحا، بعد أن يكون قد كسر كل ما هو قابل للكسر"<sup>3</sup>.

من خلال هذه الأسطر لمحنا أنه من أبرز صفات البيت أنه إتسم بالضيق والمحدودية

<sup>1</sup> سمير قسيبي، تصريح بضياح 82.

<sup>2</sup> المصدر نفسه 45.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص42.

مع كثرة أفراد العائلة، والعيش فيه جعل البطل يتحمل ما لا طاقة له به، كعنف أبيه مع أمه ومعه شخصيا، فأصبح البيت دلالة أو رمزا للعنف والخوف بدل أن يكون رمزا للأمان، "كنت أتسلل ليلا من فراشي والجميع نيام، وأسير في خلصة حتى المطبخ دون أن أشعل النور، فيخيل إلي أنني أراه جالسا على حصيرته يرثل ويصلي، ولكن من غير أن يبكي، وما إن يراني تجحظ عيناه ويصرخ في "أمشي، روح ترقد"<sup>1</sup>.

نستنتج ختاماً لهذا الفصل أن رواية "تصريح بضياح" هي رواية رمزية للإنسان الذي يسجن في هذه الحياة بدون معرفة السبب، وقد إستعمل الكاتب ثنائية (الماضي، الحاضر) في روايته مما مكنه من تصوير أحلك فترات الزمن في تاريخ الجزائر، وكذلك إستغنى "سمير قسيمي" عن الإفتتاحية المطولة التي تعنى بالشخصيات الروائية بل أصبحت على إضاءة بعض من محطات الماضي، وكذلك من خلال دراستنا لعنصر المكان في رواية تصريح بضياح إكتشفنا أن أماكن الإقامة الإختيارية لم تبرز بشكل مكثف مما يوحي للقارئ بدلالات القهر التي عانى منها البطل، فأحداث الرواية تكاد تجري كلها في فضاء مغلق وهو السجن.

<sup>1</sup> سمير قسيمي، تصريح بضياح 53.

الخاتمة

نتوصل في الأخير إلى نهاية هذه الدراسة التي تناولت صورة المكان ودلالته في رواية تصريح بضياع.

وهي الدراسة التي كشفت عن مفهوم المكان والرواية ودلالة المكان في الرواية العربية المعاصرة، وماله من قيمة ومكانة كلون أدبي.

بحيث أراد "سمير قسيمي" في رواية "تصريح بضياع" أن يضيف للرواية الجزائرية بريقا وتميزا من خلال لغة وأسلوب يعملان على جذب القاريء وإمتاعه، فيخرجه ذلك مما ألفه من لغة سردية ثقيلة، بأسلوب سلس لا يمتلك التوقف وأنت تقرأه إلا بعد الإنتهاء من النص ككل فضلا عن إستعماله أسلوب التشويق الذي يعمل على شد أنفاس القاريء، ومما سبق فقد ركز بحثنا على تتبع فكرة المكانية لدى الروائي سمير قسيمي، من خلال دراسة عينة من رواياته وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- يعد المكان في الرواية تقنية هامة يبنى عليها السرد، فهو يؤثر في شخصياتها وعلاقتها ببعضها، كما أنه منشيء للحدث ومؤثر فيه، وكأن المكان هو الفاعل في الرواية.
- تتحصر أبرز دلالات أماكن رواية "تصريح بضياع" في العنف، الخوف، الألم، الذكرى، الإهانة، و الذل.
- لقد قدم السارد روايته موظفا المكان عبر تقنية الوصف والسرد، وكان هذا داخل السجن، ولقد وسع السارد من محدودية الأشياء عبر وصفها بالتدقيق.
- نوع سمير قسيمي من الأمكنة الجغرافية داخل الرواية، إذ قسمها إلى أمكنة مفتوحة وأخرى مغلقة، لتأخذ هذه الأخيرة حظا وافرا من الأولى، وعمد في نقلها إلينا عن طريق الوصف الفوتوغرافي.

وإن إستعمال سمير قسيمي لهذه الأمكنة جاء منسجما مع مزاج وطبائع الشخصيات، بحيث كشف عن حالاتها الشعورية وأبعادها النفسية والاجتماعية المتأزمة.

- لقد جاءت شخصية البطل المثقف في الرواية مليئة بالخيبة والألم، وهذا ما يجعلنا ندرك أن سمير قسيمي يريد أن يطبع في عقولنا فكرة أن أغلبية المثقفين يعانون من ويلات المتسلطين في هذا الوطن، لا حق لهم في إبداء رأيهم وكان مصيرهم إما العزلة أو السجن أو الموت.

- يترك المكان أثرا في نفسية شخصيات الرواية الذي يتراوح ما بين الإحساس بالراحة والتوتر والإكتئاب، وما يضاف له هو ذلك الأثر الذي يختلج في نفس كل من الكاتب والقارئ، من خلال الأحداث التي جرت على مستوى فضاءات الرواية.

لنخلص في الأخير ومن خلال ما ذكرناه سابقا نتيجة مفادها أن عنصر المكان له الدور الكبير في رواية "تصريح بضياع" من خلال البعد الذي رمت إليه، وقد إعتد سمير قسيمي في روايته تقنية السرد عموما.

نستنتج ختاماً لهذا الفصل أن رواية "تصريح بضياع" هي رواية رمزية عن الإنسان الذي يسجن في هذه الحياة بدون معرفة السبب، وقد إستعمل الكاتب ثنائية (المغلق/ المفتوح) في روايته مما مكنه من تصوير أحلك فترات الزمن في تاريخ الجزائر، وكذلك إستغنى "سمير قسيمي" عن الإفتاحية المطولة التي تعنى بالشخصيات الروائية بل أصبحت على إضاءة بعض من محطات الماضي، وكذلك من خلال دراستنا لعنصر المكان في رواية "تصريح بضياع" إكتشفنا أن أماكن الإقامة الإختيارية لم تبرز بشكل مكثف مما يوحي للقارئ بدلالات القهر التي عانى منها البطل، فأحداث الرواية تكاد تجري كلها في فضاء مغلق وهو السجن.

القرآن الكريم:

1. سورة الزمر
2. سورة مريم

أولاً: المصادر

1. سمير قسيبي، تصريح بضياع، منشورات البيت، الجزائر، ط1، 2009.

ثانياً: المراجع العربية

1. ابراهيم عباس، تقنيات البيئة السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، د ط، 2002.
2. ابراهيم نبيلة، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، مصر، د ط، 2001.
3. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
4. أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات إتحاد كتاب الجزائر، الجزائر، ط1، 1996.
5. الأخضر بن السائح، سطوة المكان وشعرية القص، رواية ذاكرة الجسد، دراسة في تقنيات السرد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
6. أسماء شاهين، جمالية المكان في رواية جبرا ابراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001.
7. أكرم اليوسف، الفضاء المسرحي، دراسة سيميائية، دار مشرق، مغرب، دمشق، بيروت، د ط، 1994.
8. أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1976.

9. أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2009.
10. بدري عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986.
11. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1973.
12. جنداري ابراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، الأردن، ط1، 2001.
13. جورج طرابيشي، رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، سبتمبر 1985.
14. حافظ صبري، الحساسية الجديدة واستخدامات المكان، دار الأقلام، ع11-12، مصر، 1986.
15. حسان الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، آفاق الإبداع ومرجعياته في عصر المعلوماتية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001.
16. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990.
17. خالد حسين، شؤون العلامات، من التشفير إلى التأويل، دار التكوين للترجمة والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2008.
18. رشيد قريع، دلالة الزمن والمكان عند ابن هدوقة، بان الصبح أنموذجا، كتاب الملتقى الرابع عبد الحميد بن هدوقة، دار هومة، الجزائر، دط، 2001.
19. سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.

20. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005.
21. سعيد يقطين، قال الراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997.
22. سليمان كاصد، عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2003.
23. سيد احمد النجاس، بانوراما الرواية العربية، المركز العربي للثقافة والعلوم، ط1، 1982.
24. سيزا قاسم، القاريء والنص، العلامة والدلالة، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط2، 2002.
25. سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسات مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1984.
26. شاعر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، 1994.
27. شريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، د ط، 2010.
28. صالح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997.
29. صالح صلاح، الرواية العربية والصحراء، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د ط، 1992.
30. طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1989.
31. عبد الرحمان بدوي، الزمان الوجودي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1955.

32. عبد اللطيف اللعبي، مجنون الأمل، مؤسسة الابحاث العربية، لبنان، ط2، 1983.
33. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المركز العربي للثقافة والعلوم، ط2، 1978.
34. عبد الله مرتاض، ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية لحكاية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989.
35. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998.
36. فضيلة فاطمة درويش، سيكيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2012.
37. فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1، 2003.
38. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، المطبعة المليجية، القاهرة، د ط، 1935.
39. محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
40. محمد جبريل، دراسة في القصة والرواية، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط2، 2000.
41. محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1987.
42. محمود الربيعي، عن قضية الأدب، دار الكتاب، لبنان، ع185، 1976.
43. مرشد أحمد، البنية والدلالة في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

44. مصطفى الضبع، إستراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ط، أكتوبر 1998.
45. مها حسن القصاروي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
46. ناصر الحاني، من مصطلحات الأدب العربي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط1، 1999.
47. يوري لوتمان، جماليات المكان، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988.
48. يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999.

المتريجة:

1. تزفيطان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1971.
2. تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990.
3. جيرار جينيت ، الفضاء الروائي، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا، الشرق، المغرب، د ط، 2002.
4. ميخائيل باختيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 1990.
5. هنري جيمس، الفن الروائي، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة إنجيل بطرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1971.
6. غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987.

7. يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم دراز، مجلة البلاغة المقارنة، ع6، القاهرة، الجامعة الأمريكية، 1986.

الرسائل الجامعية:

1. بدر نايف الرشيدى، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، تركيا، 2011-2012.
2. جوادى هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012-2013.
3. عوض مها حسن يوسف، المكان في الرواية الفلسطينية (1948-1988)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1991.

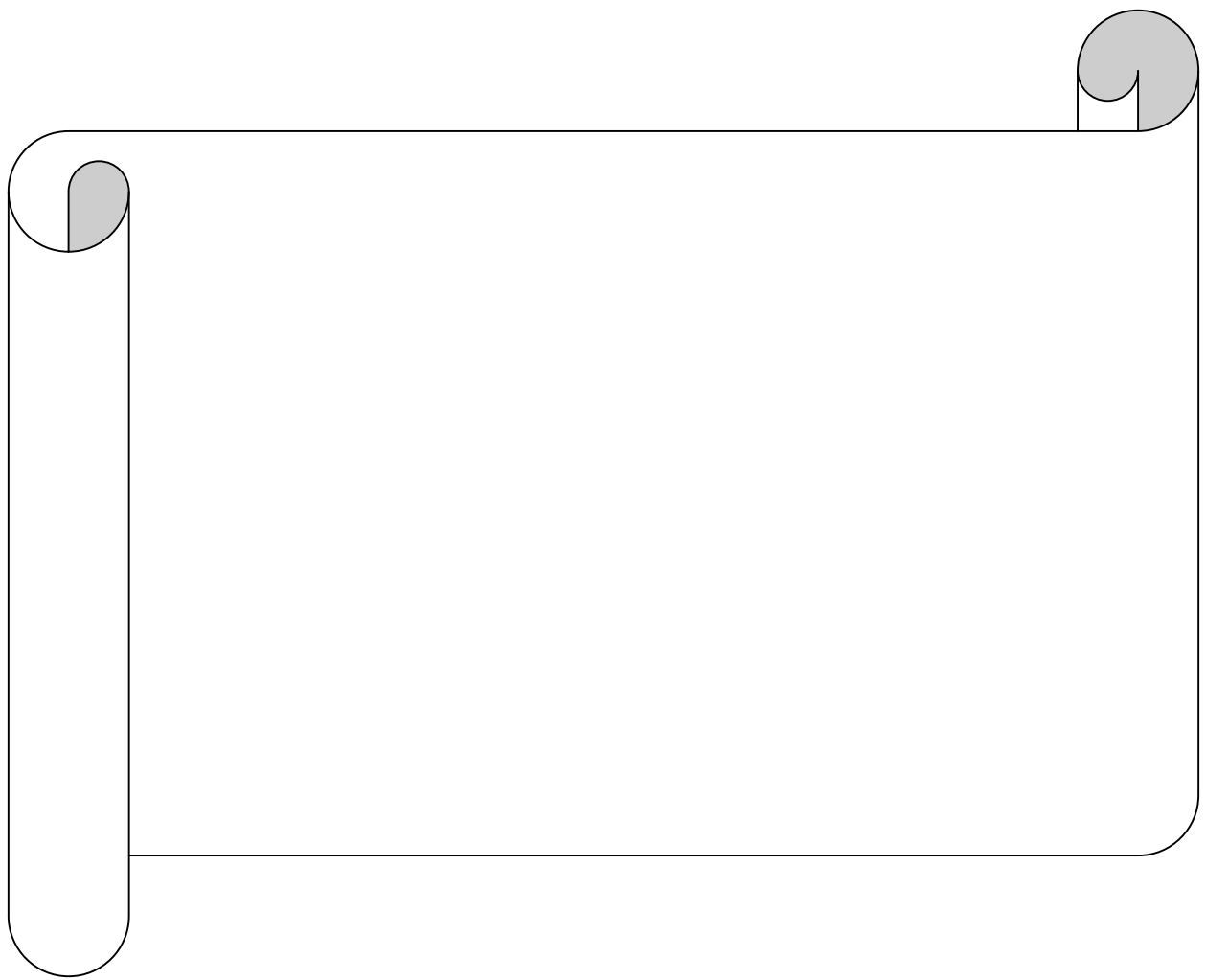
المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، بيروت، ط1997، 1، مج6.
2. أندري لالاند، المعجم الفلسفي، مج (a-g)، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001.
3. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط22، 1975.

المجلات:

01. إبراهيم الفيومي، المكان ودلالاته، مجلة جامعة البحث، مج 19، ع1، الجزائر، 1997.
02. حافظ صبري، الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، ع4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984.
03. زياد مغامس، مظاهر أسلوبية في رواية جسد بنات يعقوب لحسن حميد، مجلة البيان، ع389، ديسمبر 2002.

04. سمو روجي الفيصل، بناء المكان، مجلة الموقف العربي، دمشق، د ط، ع306، 1996.
05. سيزا قاسم، القارئ والنص، من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج32، ع3-4، الكويت، 1995.
06. الشوابكة محمد، دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمان منيف، مجلة أبحاث اليرموك، مج9، ع2، 1991.
07. عبد اللطيف أحمد، الزمان والمكان في قصة العهد القديم، مجلة عالم الفكر، مج16، ع3، الكويت، 1985.
08. مريم محمد عبد الله، د تحريشي محمد، حادثة مفهوم المكانة في الرواية العربية، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد، بشار، العدد1، 2012.
09. هلسا غالب، المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب، ع2-3، بيروت، 1980.



نبذة عن حياة المؤلف:

ولد سمير قسيمي في الجزائر العاصمة سنة 1947م ، متحصل على البكالوريا في الحقوق، تخرج محاميا، بدأ كتابة الشعر في سن مبكرة، ومنه إتجه إلى الأعمال الحرة، عمل بناءا ثم نجارا وبعدها كاتباً في المصالح الحكومية لأولئك الذين لا يحسنون الكتابة ثم مصححا في الصحافة.

هو روائي شاب مبدع ومتمكن من أدواته الأدبية، إستطاع في فترة وجيزة أن يفرض نفسه بقوة على الساحة الأدبية، بروحه ونفسه الروائي المتجدد.

مؤلفاته:

- تصريح بضياع سنة 2009.
- يوم رائع للموت سنة 2009 ( فازت بجائزة الهاشمي سعيداني للرواية)
- هلايبيل سنة 2010.
- الحالم سنة 2012.
- حب في خريف مائل.
- في عشق امرأة عاقر.

أقواله:

حين سئل سمير قسيمي من طرف أحد صحافيين المجلة الثقافية الجزائرية عن معنى الكتابة بالنسبة له رد قائلا: " ما أنا واثق منه أنها قصة حب متبادل، أحب الكتابة وأعتقد أنها تحبني لقدرتي على تجديد حي للرواية مع كل نص جديد، وكأي علاقة حب صادقة فأنا ملتزم بما تفرضه هذه العلاقة من إلتزامات...، يلزمني الكثير من علب السجائر... فناجين

لا تحصي من القهوة، عدا هذين فلا أحتاج شيئاً للكتابة، أكتب متى أتيح لي الوقت يوميا وأستغرق في الكتابة ساعات طوال، حتى أنني أكتب في أي مكان وفي أي وقت، إلا أنني أحب الكتابة ليلاً.



# الفهرس





1: البناء العام للرواية.....	ص39
2: دلالة المكان في رواية تصريح بضياع.....	ص41
1-2: دلالة السجن.....	ص43
2-2: دلالة الزنزانة.....	ص45
2-3: دلالة الساحة.....	ص47
2-4: دلالة البارلوار.....	ص48
2-5: دلالة الشارع.....	ص49
2-6: دلالة المخفر.....	ص50
3: المكان والشخصية.....	ص51
4: أسلوب السرد والوصف في الرواية.....	ص52
1-4: وصف الشخصيات.....	ص53
2-4: وصف الأمكنة.....	ص54
3-4: وصف البيوت.....	ص56
الخاتمة.....	ص59
قائمة المصادر والمراجع.....	ص62
الملاحق.....	ص70
الفهرس.....	ص74





